ملامح المجتمع الأندلسى
كما تصورها الأمثال الأندلسية
خلال القرنين السابع والثامن الهجريين

دكتور/ محمّدعلى دبّور

دكتوراه من جامعة مدريد المركزية (إسبانيا)
Universidad Complutense de Madrid (España)
ومدرس بقسم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تقديم:

يعد المثل ظاهرة فريدة ومتميزة فى الآداب العالمية، نظرًا لطبيعته اللغوية والتركيبية وإيجازه الشديد ودلالته العميقة، بالإضافة إلى أنه خلاصة تجربة يُعَبَّرُ عنها بالرمز أو الإيحاء أو الإشارة المباشرة فى شتى ميادين الحياة اليومية، ويعالج حالاتها من خلال الوقائع والعادات والتقاليد والممارسات، وهو بكل صيغه يظل معبرًا عن حكمة الشعوب وخلاصة تجاربهم ورؤيتهم للأشياء المحيطة بهم وما بأنفسهم من خبايا.

ومن المؤكد أن لكل مثل مضروب سببًا وعلة، ولا يستطيع أحد أن يقول بأن هناك مثلاً ضُرب دون سبب أو هدف، فالمثل ضُرب للتعبير عن موقف معين أو حالة نفسية مخصوصة، أو لتخليد ذكريات محبوبة إلى النفوس لتكون قدوة -فيما بعد- للأجيال التالية فيقلدوها ويعملوا بها، أو لتخليد ذكريات مكروهة ممقوتة إلى النفوس لتكون عبرة -فيما بعد- للأجيال التالية فيجتنبوها وينفروا منها، أو للتعبير عن ظرف من ظروف الحياة المتقلبة بين سعادة وشقاوة، وضيق وسعة، وقحط ورخاء، وعدل وظلم، وبهجة وحزن .

وضرب المثل هو الوسيلة التى يملكها العامة من أبناء الشعوب، ولا يملكون غيرها، للتعبير عن مكنونات نفوسهم وما يجيش فى صدورهم نحو حكامهم أو

حتى نحـو بعضهم البعض، فكل طائفـة من طوائف الشعب لها وسيـلة خاصة للتعبـير عن نفسيتهـا أو عما تريد أن تبوح به وتقوله لغيـرها؛ فالكتاب يملكون الكتابة، والعلمـاء يملكون الخطابة وفصاحة اللسان، وحـتى الحكام يملكون القوة والسيف، أما العامة فلا يملكون إلا ضـرب المثل كوسيلة للمشاركة مع الطوائف الأخرى فى التعـبير عن حركة المجتـمع والتقلبات التى يمر بها، أو التعـبير عن العلاقات الإنسانية أو الاجتماعية التى يعيشونها.

من هذا المنطلق كان للأمـثال أهميـة كبيرة لتـحديد بعض ملامح المجـتمع والتعبير عن العلاقات بين أفراده، وتصوير الحياة تصويرًا قد يكون -أحيانًا- أكثر بلاغة مـن المؤلفات التى وُضِـعَتْ لذلك؛ لأن المثل هو تعبـير صادق عـن حالة معينة من حالات المجتمع، ولا يجنح أبدًا إلى تغيير الحقيقة أو تزييف الواقع أو تزيين صورة الحيـاة فى المجتمع، لكن المؤلفات ربما عـرض لها شىء من ذلك؛ لأن مؤلف الكتاب كلمـا كان قريبًا أو معاصرًا للأحـداث التى يكتب عنها كلما قلت مرضوعيته، أو أخفى بـعض الحقائق التى يخشى على نفسه من أن يبطش السلطان به إن هو أبدى شيئًا منها، ولا شك أن مؤلف كل كتاب معروف، ومن السهل الوصول إليه إن طلبه السلطان فى شىء من ذلك.

أما ضارب المثل فإنه لا يخشى شيئًا من ذلك؛ لأن ضارب المثل أو أول من تلفظ بالمثل أو أطلقه من لسـانه غير معروف على الإطلاق، فلم نسـمع -مثلاً- فى الأمثال المشرقية العربية القديمة والحديثة، وكذلك فى الأمثال الأندلسية، التى نحن بصدد دراستها وتحليلها، أن فلانًا هو الذى أطلق المثل الفلانى، أو أن فلانًا هو صـاحب المثل الفلانى، فـهذا الأمـر لا يوجـد فى جمـيع الأمثـال قديمهـا وحديثـها، من هنا قلنا إن ضارب المثل يقول الحـقيقة دون مـواراة أو خوف من بطش أو ملام أو عتـاب، لذلك فإنه ينقل لنا الصورة الحقيقـية لموقف معين من مواقف الحياة فى المجتمع دون تزييف أو تحريف أو تغيير.

والأمثـال باعتبارها الممـثل الحقيقى للـخطاب الشعبى الأندلسى أو الثقـافة الشعـبية الأندلسيـة تعد وثيقة اجـتماعيـة مهمة وأقـرب إلى الصدق فى وصف وتوضـيح جوانب كـثيـرة من جوانب المجـتمع، ومن هنا تأتى أهـميـة دراسة

المجتمعات من خلال الأمثال، فمن خلال الأمثال نستطيع أن نتعرف على العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع وما تنطوى عليه من حب أو كره، ونتعرف على جانب كبير من جوانب الحياة الاجتماعية فى المجتمع، فنتعرف على بعض أو كثير من العادات والتقاليد فى المأكل والملبس والعلاج، وأشكال الاحتفالات بالأعياد والمواسم والذكريات، وصورة العلاقة بين الأغنياء والفقراء، وموقف الحكام مما يعانى منه أفراد المجتمع، وصورة العلاقة بين الفقهاء والعامة من أبناء المجتمع، كذلك يمكننا أن نتعرف على شىء من صورة الحياة الاقتصادية فى المجتمع والأزمات التى يعانيها الناس من عدم وجود القمح -مثلاً- أو صعوبة العثور على الخبز أحيانًا، إلى غير ذلك من جوانب الحياة الاقتصادية.

ليس هذا فقط، بل إن الأمثال -أحيانًا- تفرد لنا صورًا خاصة لكل طبقة من طبقات المجتمع، فنجد مجموعة من الأمثال تتحدث عن صورة الفقهاء فى المجتمع، وهل يسيرون وفق الشرع وما تمليه عليهم مكانتهم العلمية، أم أنهم يسيرون وفق أهوائهم، ويتكالبون على جمع الأموال والتكسب من وراء معارفهم الفقهية، وتوجد مجموعة أخرى من الأمثال تتحدث عن الولاة والعمال وما يسيرون به بين الرعية من عدل أو ظلم، وتوجد مجموعة ثالثة تتحدث عن اليهود وما يحتلونه من مكانة مرموقة فى المجتمع الأندلسى المسلم، ولا شك أن الأمثال تنتقد هذه المكانة وترفضها رفضًا قاطعًا، ومجموعة أخرى تتحدث عن العبيد وما يجب أن يتبع معهم، إلى غير ذلك من الحديث عن طبقات المجتمع الأندلسى.

بالإضافة إلى ذلك فإن الأمثال تقدم لنا صورًا وملامح متميزة للمجتمع الأندلسى لا نجدها فى كثير من المصادر التاريخية التقليدية، وفى ظل ندرة المادة الحضارية التى تقدمها لنا المصادر التاريخية وبخاصة ما يتعلق بالمجتمع وعاداته وتقاليده وأنماط معيشته، فإن الأمثال الأندلسية تمثل مصدرًا تكميليًّا يساعد مع المصادر الأساسية الأخرى على تكوين صورة كاملة أو شبه كاملة عن المجتمع الأندلسى وظروف معيشته وما يموج به من تناقضات، كما أنها تقدم لنا مادة مهمة لفهم طبيعة الأندلسيين وذهنيتهم وقضايا مجتمعهم.

وإذا كانت الصورة التي رسمها الخطاب الشعبى الأندلسى للمجتمع

الأندلسى لا تخلو من تعميم وضبابية، فإن الأمر يرجع أولاً وأساسًا إلى طبيعة هذا الخطاب الذى يتصف بخاصية التعميم والانتقائية، ثم إن الأمثال كمكوِّن أساسى من مكونات الخطاب الشعبى قد انسجمت مع خاصيتها الغنائية، فاكتفت بالتلويح دون التصريح، وآثرت الإشارة على العبارة، ولكن كل هذا لا ينفى أهمية المعلومات التي يمدنا بها الخطاب الشعبى الأندلسى عن المجتمع الأندلسى وظروفه الخاصة. ثم إن الأمثال الشعبية، سواء فى الأندلس أو فى غيرها من المجتمعات، كانت في الغالب من نتاج طبقة معينة، هي طبقة العامة التى شكلت على الدوام القاعدة الرئيسة فى كل المجتمعات، وقد كان للعامة مفاهيمها الخاصة ومثلها التى استوحتها أولاً من الأفكار الدينية والمفاهيم العامة السائدة في المجتمع والتى كانت تغذيها الأرستقراطية الحاكمة وتشجعها. وثانيًا من ظروفها الخاصة وحياتها العملية، ومن المصدر الثانى تأتيهم كثير من الخبرات والتجارب العملية التى تعكس فى تفكيرهم كثيرًا من المفاهيم التى قد لا تتفق مع المفاهيم التي يوحى بها الدين، ومع ذلك فهي تمتزج بنفسياتهم وتلعب دورها في سلوكهم وأخلاقهم، ومن هنا يمكن أن نفهم سر الازدواجية التي لازمت صورة المجتمع، ليس فقط في الثقافة الشعبية الأندلسية، ولكن في مختلف الواجهات التعبيرية التي كانت مرآة حقيقية عكست بكثير من الصدق والأمانة ما كان يمور في المجتمع الأندلسي من تناقضات اجتماعية واقتصادية وعرقية، والتي كان لها دورها الحاسم في تحديد مسار ومصير الفردوس المفقود.

ونحن فى هذا البحث سوف نعرض لملامح المجتمع الأندلسى من خلال الأمثال، وسنعرض لكل ما ذكرناه آنفًا من ملامح المجتمع من خلال مجموعة "أبى يحيى عبيد الله أحمد الزجّالى القرطبى" المتوفى فى أخريات القرن السابع الهجرى، وبالتحديد سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، التى أوردها الدكتور أحمد سالم ولد محمد بابا فى رسالته للدكتوراه بعنوان: (دراسة لغوية ومعجمية للأمثال الأندلسية من خلال مجموعة أبى يحيى الزجّالى)، والرسالة باللغة الإسبانية، وقد حصل عليها الباحث من جامعة سرقسطة سنة ١٩٩٩م[1].

(1) Ahmed Salem Ould Mohammed Baba: Estudio dialectológico y lexicológico del refranero Andalusí de Abu Yahyá Azzajjali- Universidad de Zaragoza، 1999.

بالإضافة إلى مجموعة "ابن عاصم الغرناطى" المتوفى سنه ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، والتى جمعها الدكتور عبد العزيز الأهوانى فى مقال له بعنوان: (أمثال العامة فى الأندلس)[١]، حتى ظهر كتاب "حدائق الأزاهر" لابن عاصم[٢] الذى جمع من أمثال العامة من أهل غرناطة فى القرن الثامن الهجرى ما يزيد على ثمانمائة مثل، فحفظ لنا بذلك الجهد تراثًا لغويًّا تاريخيًّا حضاريًّا مهمًّا، استطاع من خلاله أن يسجل لنا أحاسيس مواطنيه ومعاصريه، ورؤيتهم للأشياء فى بساطتها، وما كان يضج به المجتمع الأندلسى من تناقضات فى شتى مجالات الحياة، وقد أوردتها الباحثة الإسبانية الدكتورة مارينا ماروجان جويمث Marina Marugan Güémez فى رسالتها للدكتوراه عن: (الأمثال الأندلسية لابن عاصم الغرناطى، دراسة لغوية ومعجمية)، والرسالة باللغة الإسبانية، وقد حصلت عليها الباحثة من جامعة مدريد سنة ١٩٩٤م[٣].

لذلك سنقوم بتصنيف الأمثال الأندلسية فى مجموعات حسب موضوعها، فيكون عندنا مجموعة تختص بالحديث عن الحياة الاجتماعية وما تموج به من عادات وتقاليد وأخلاق وصفات، ومجموعة أخرى تتحدث عن الحياة الاقتصادية والظروف المعاشية التى كان يحياها الأندلسيون بكافة طوائفهم، وثالثة خاصة بصورة الفقهاء فى المجتمع الأندلسى، ورابعة خاصة بصورة الولاة والعمال فى المجتمع الأندلسى، وخامسة خاصة بصورة اليهود بين المسلمين فى الأندلس، وسادسة خاصة بالبربر ونظرة الأندلسيين لهم وعلاقتهم بهم فى المجتمع الأندلسى، و... الخ.

---

(١) نشر هذا البحث ضمن مجموعة أبحاث فى كتاب تحت عنوان: (إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين)، وهو عبارة عن مجموعة دراسات مهداة إليه من أصدقائه وتلاميذه - أشرف على إعدادها: د. عبد الرحمن بدوى - دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م، ص ٢٣٥-٣٦٧.

(٢) ظهر هذا الكتاب لأول مرة فى بيروت بتحقيق: د. عفيف عبد الرحمن فى سنة ١٩٨٧م، ثم ظهر بعد ذلك فى صورة أفضل بتحقيق: أستاذنا الدكتور/ عبد اللطيف عبد الحليم فى سنة ١٩٩٢م، ونشرته المكتبة العصرية فى بيروت.

(3) Marina Marugan Güémez: El refranero Andalusí de Ibn Asim Al-Garnati، Estudio lingüístico، Transcripción، Traducción y Glosario- Hiparión- Madrid، 1994.

والاسم الكامل لكتاب ابن عاصم هو: "حدائق الأزاهر فى مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر".

ربما يثار سؤال عن الفترة الزمنية التى يدور حولها البحث، وقد حددت القرنين السابع والثامن الهجريين مجالاً لهذه الدراسة، اعتمادًا على مؤلفَىْ الزجّالى وابن عاصم عن الأمثال الأندلسية، فالزجالى من رجال القرن السابع الهجرى، وابن عاصم من رجال القرن الثامن الهجرى، ولكن رغم ذلك فإنه تجب الإشارة إلى مسألة مهمة، وهى تمثل فى الوقت نفسه إشارة إلى مصادر الأمثال الأندلسية، وهى أنه إذا نظرنا وتتبعنا الأمثال الأندلسية على مدى التاريخ الأندلسى بمراحله المختلفة، نجد أن الأمثال الأندلسية الواردة فى كتاب "لحن العامة" لأبى بكر الزبيدى الأندلسى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م، وهو أول كتاب أندلسى يصادفنا يتحدث عن الأمثال الأندلسية، ثم إذا نظرنا إلى مذكرات الأمير عبد الله بن بُلُقّين آخر ملوك بنى زيرى فى غرناطة والمعروفة باسم "كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة" ومؤلفه توفى سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م، وهو مصدر تاريخى أندلسى مهمٌ يحمل مادة مهمة وقيمة عن الأمثال الأندلسية، ثم إذا نظرنا إلى الأمثال الأندلسية الواردة فى كتاب "لحن العامة" لابن هشام اللخمى الإشبيلى المتوفى سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م، وهو الكتاب الأندلسى الثالث الذى يتحدث عن الأمثال الأندلسية، ثم الأمثال الواردة فى كتاب "رى الأوام ومرعى السوام فى نكت الخواص والعوام" لأبى يحيى عبيد الله أحمد الزجّالى القرطبى المتوفى سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م، والمعروفة بأمثال الزجّالى، ثم أخيرًا إلى الأمثال الواردة فى كتاب "حدائق الأزاهر" لابن عاصم الغرناطى المتوفى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، إذا نظرنا إلى هذه الكتب حسب ترتيبها التاريخى نجد أن اللاحق منها ينقل عن السابق، حتى إذا ما وصلنا إلى ابن عاصم الغرناطى آنف الذكر، وجدناه يجمع بين دفتى كتابه ما يزيد على ثمانمائة مثل، وسبب هذا العدد الكبير والكم الهائل من هذه الأمثال أنه أتى تقريبًا فى كتابه على جميع الأمثال التى سبقته.

الأكثر من ذلك أننا إذا نظرنا إلى الأمثال الواردة فى مذكرات الأمير عبدالله ابن بلقين فى القرن الخامس الهجرى، وهو من أهل غرناطة، وجدناها أو وجدنا بعضها بعد ذلك فى أمثال ابن عاصم -وهو من غرناطة أيضًا- فى القرنين الثامن

والتاسع الهجريين، مما يؤكد لنا أن الأمثال تعبر عن المشاكل والقضايا الاجتماعية التى كان يعانى منها أو يعيشها المجتمع الأندلسى طوال تاريخه، ولا شك أن هذه الأمثال مع إيجازها الشديد وخفتها اللفظية والتركيبية كان من السهل أن تنتقل أو تطير من مدينة إلى أخرى ليجد فيها مستقبلوها مرآة صادقة تعكس همومهم وأوجاعهم ومشاكلهم التى يحيونها، كما يجدون فيها وسيلة للتنفيس والترويح عما تجيش به نفوسهم من أحاسيس ومشاعر تجاه مجتمعهم وقضاياه.

* * * *

*** الحياة الاجتماعية فى الأندلس من خلال الأمثال الأندلسية:**

تصور الأمثال الأندلسية الحياة الاجتماعية تصويرًا أوضح وأبلغ من تصويرها لأى جانب من جوانب الحياة الأخرى؛ لأن الأمثال -فيما أرى- وضعت فى الأصل للتعبير عن هذا الجانب من حياة الناس دون غيره، وتصوير عاداتهم وتقاليدهم، وأفراحهم وأتراحهم، وأخلاقهم، وعلاقاتهم الشخصية فيما بينهم، ثم يأتى تصوير الأمثال للجوانب الأخرى من الحياة -كالجانب السياسى أو الجانب الاقتصادى- تبعًا لهذا الجانب الأصلى.

*** الظواهر العامة فى المجتمع الأندلسى من خلال الأمثال:**

من الجوانب الاجتماعية التى غص بها المجتمع الأندلسى ظاهرة التسول التى كانت منتشرة فى الأندلس، وهى ظاهرة عامة توجد فى كل المجتمعات البشرية، فلا يكاد يخلو مجتمع من وجود أناس يتسولون فى الشوارع والطرقات بحثًا عن القوت لإقامة الأود، أو الغطاء لاتقاء البرد، أو الملبس لمواراة العورة، بل قد تصل هذه الظاهرة ببعض الأفراد إلى حد المهنة، يمتهنونها ولا يفكرون فى عمل غيرها.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن مجموعات العامة الذين ليس لهم عمل كانوا بقرطبة أكثر من غيرها من المدن الأندلسية، وكانوا يتألفون من جموع الشحاذين والمتسكعين والمجرمين الذين ينتشرون فى أزقة المدن الأندلسية وساحاتها، وكان لهؤلاء المتسولين فى الأندلس عادة خاصة أثناء خروجهم للتسول، وهى أنهم يحرصون على قصد ديار الأغنياء حتى يحصلوا على ما

يريدون أو ما يكفيهم، يقول المثل: (إذا بليت بالسعى اقصد الديار الكبار)[1]، والسعى فى لغة أهل الأندلس يعنى: التسول[2]. وقد استشهد ابن عاصم لهذا المثل بقول الشاعر:

وإذا لم يكن من الذل بدٌّ ** فالق بالذل إن لقيتَ الكبارا

وفى مواضع أخرى تؤكد لنا المصادر التاريخية أن طرق قرطبة - على وجه الخصوص- كانت مكتظة بالمتسولين الذين يستجدون الناس، وكان كل واحد من هؤلاء يحاول أن يقنع الناس بحقيقة حاجته بأعذار يختلقها[3]، وكذلك الحال فى غرناطة[4]، وكان هؤلاء المتسولون يتفننون فى الحيل التى يستدرون بها عطف الناس، كما تشهد كتب الحسبة بكثرة هؤلاء المتسولين الذين يتحيلون على الناس بحيل كثيرة لأخذ أموالهم بالباطل، وكان بعضهم يقوم بجولات فى الطرقات ينشدون مقاطع من الأغنيات الشعبية أو الزجل؛ كسبًا لعطف ورحمة المارة[5]، وترى كتب الحسبة ضرورة تأديب هؤلاء ومنع أذاهم عن الناس[6].

---

(١) انظر: د. عبد العزيز الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، المثل رقم ٢٨ ، ص ٢٩٩. د. أحمد سالم محمد بابا: أمثال أبى يحيى الزجالى، المثل رقم ٤٩، ص ٤٥، وقد ورد المثل عند أبى يحيى الزجالى بصيغة (إذا بليت بالسعى فعليك بالديار الكبار). وهكذا نرى أن المثل الذى ورد عند أبى يحيى الزجالى - وهو من أهل القرن السابع الهجرى، ومن أهل قرطبة، هو نفسه المثل الذى أورده ابن عاصم الغرناطى -مع اختلاف فى الصياغة- وابن عاصم من أهل القرن التاسع الهجرى، ومن أهل غرناطة، وهذا يؤكد ما سبق أن قلناه من أن اللاحق من مؤلفى كتب الأمثال ينقل عن السابق، وأنه ليس صحيحًا أن الأمثال التى جمعها مؤلف قرطبى بين دفتى كتاب له تعبر فقط عن المجتمع القرطبى، أو أن الأمثال التى جمعها مؤلف غرناطى بين دفتى كتاب له تعبر فقط عن المجتمع الغرناطى، بل إن الصحيح أن الأمثال الأندلسية تعبر عن المجتمع الأندلسى بأسره، سواء جمعها مؤلف قرطبى أو غرناطى أو غير ذلك، وسواء جُمعت فى القرن الخامس الهجرى أو جُمعت فى القرن التاسع الهجرى.

(٢) الفعل سعى يسعى عند الأندلسيين والمغاربة إلى اليوم له معنى خاص ليس لدى المشارقة، فهو يطلق على من يسأل الناس الصدقة ويحترف التسول، وقد جاءت بهذا المعنى فى أزجال ابن قزمان. انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، ١ / ٧٥ .

(٤) انظر: ابن سعيد: الغصون اليانعة، ص ٧١. المقرى: نفح الطيب، ٤/ ١٢٧.

(٥) انظر: آنخل جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى- ترجمة: د. حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٥٥م، ص ١٦٠.

(٦) انظر: ابن عبد الرءوف: رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب، ص ١١٣.

كما حارب رجال الدين فى الأندلس ظاهرة التسول، فقد كان مستقبحًا، وقد أكد ابن سعيد أن عدد المتسولين ظل ضئيلاً بالأندلس بحكم أن عادة الأندلسيين "إذا رأوا شخصًا قادرًا على الخدمة يسأل الناس سبُّوه وأهانوه، فضلاً عن التصدق عليه"، وكان لهذا التشديد أثر كبير فى الحد من هذه الظاهرة الخطيرة فى الأندلس، لذلك لا تجد سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر كما شهد بذلك صاحب موسوعة "نفح الطيب"[1]، يضاف إلى ذلك ما عرف عن الأندلسيين من أنهم كانوا يخافون ذل السؤال، ومن هنا فقد ذكرت المصادر التاريخية أنهم عُرِفُوا بحسن التدبير فى المعاش وحفظ ما فى أيديهم خوف ذل السؤال[2].

وكذلك ظاهرة السرقة كانت منتشرة أيضًا فى المجتمع الأندلسى، وهى ظاهرة عامة لا يخلو منها مجتمع، وكان الأندلسيون شديدى الحذر من هؤلاء اللصوص حتى لا يقعوا فى شراكهم ويفقدوا كل ما يملكون، حتى أنهم قالوا فى المثل: (خذ السارق قبل أن يأخذك)[3]، ولا شك أنهم كانوا يكرهون هؤلاء اللصوص ويتمنون التخلص منهم، وكان وجود هؤلاء اللصوص وكثرتهم أمرًا شغل فكر الناس ونغص عليهم حياتهم، ومما يؤكد ذلك ويدل عليه كثرة الأمثال التى كانوا يتداولونها فيما بينهم عن هؤلاء اللصوص، من ذلك قولهم: (سارق ويبغض السراق)[3]، و (كيف ما يبيع السارق بالفاضل هو)[5]، و (لو درى السارق ما

(١) المقرى: نفح الطيب، ١ / ٢٠٥ وانظر: ابن عبدون: رسالة فى القضاء والحسبة، ص ١٢٤.

(٢) انظر: المقرى: نفح الطيب، ١ / ٢٢٣. الأصفهانى: خريدة القصر، ٣ / ٤٠٩. وقد أفرد د. إبراهيم القادرى بوتشيش فصلاً مهمًا -الفصل السابع- فى كتابه (الإسلام السرى فى المغرب العربى)، تحت عنوان: المتسولون فى المغرب والأندلس خلال عصرى المرابطين والموحدين، تحدث فيه عن عادات المتسولين وأماكن تجمعهم وموقف رجال الحسبة منهم، وبعض القضايا الأخرى التى تتعلق بهم. انظر: د. إبراهيم القادرى بوتشيش: الإسلام السرى فى المغرب العربى - سينا للنشر- ط١، ١٩٩٥م، ص ١٦١-١٧٢. وتؤكد المصادر التاريخية وكتب التراجم أن ظاهرة التسول عرفت انتشارًا كذلك بين النساء، فقد ورد فى ترجمة "أبى إسحاق الأندلسى" أنه اشترى مع مريديه طعامًا للعشاء، فإذا بمتسولة تشكو ما ألم بأبنائها من جوع، فآثرها بالطعام كله، مما يعكس ألوان الحرمان التى عانت منها المرأة الأندلسية، وخصوصًا تلك التى فقدت زوجها، فاضطرت إلى احتراف مهنة التسول. انظر: التادلى: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٣١٠، ترجمة رقم ١٥٤.

(٣) انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، المثل رقم ٣٧٩، ص ٣٢٧.

(٤) السابق، المثل رقم ٤٤١، ص ٣٣٢.

(٥) السابق، المثل رقم ٥٩٢، ص ٣٤٣.

يدرى صاحب الدار اش كيقدر لُ أحد)[1]، و (يسرق مع السارق وينوح مع صاحب الدار)[2]، (آش يضرب السارق على سرقتُ إلا على قلت دريةُ)[3].

وتؤكد لنا المصادر التاريخية كثرة اللصوص والسُّرَّاق وقطاع الطرق فى قرطبة وغيرها[4]، وكانوا يستغلون أوقات الفتن والاضطرابات للسطو على أموال الناس، وقد أمدنا ابن عذارى بأحد النصوص المهمة التى تبين لنا مدى ما يعانيه المجتمع الأندلسى من هؤلاء اللصوص وبخاصة أهل قرطبة، فقال: "وقد كانوا. . . .فى بلاء عظيم، يتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعات طُرَّاقه ما لا يكابده أهل الثغور من العدو"[5]، كما يمدنا المقري أيضًا بنص في غاية الأهمية عن خطة الطواف بالليل في الأندلس ودورها في مواجهة اللصوص ومقاومتهم والحد من خطرهم، ويصف لنا فيه الدروب الأندلسية والأزقة وكيفية إغلاقها وحراستها بالليل، مبينًا صراحة أن السبب في ذلك كله هو شطارة عامة الأندلس وكثرة شرهم وتفننهم في أمور التلصص، فيقول: «وأما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب أرباع في المشرق، فإنهم يُعرفون في الأندلس بالدرَّابين؛ لأن بلاد الأندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة،

---

(١) انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، المثل رقم ٦١٤، ص ٣٤٤. "كيقدر" هى الفعل المضارع "يقدر" سُبِقَ بالكاف، فإن الفعل المضارع فى هذه اللهجة يُسْبَق عادة إما بالكاف أو الدال أو التاء أو اللام؛ والكاف والدال أكثر شيوعًا فى الشمال، أما التاء واللام فتلازمان المضارع كثيرًا فى لهجة الجنوب. انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب "تطوان وما حولها" - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ١٢٧ وما بعدها.

(٢) السابق، المثل رقم ٨٤١، ص ٣٦٣.

(٣) السابق، المثل رقم ١١٠، ص ٣٠٦. "آش" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة تأتى للنفى، وتأتى بمعنى: لا النافية للفعل، أو بمعنى: ليس. وانظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية،١ / ١٤٠، ١٤٧. وقد تأتى بمعنى الاسم الموصول "الذى". انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ١٥٠. وفيما يختص بهذا المثل تجدر الإشارة أيضًا إلى أنه من عادة الأندلسيين والمغاربة حذف ضمير الغائب المتصل سواء أكان مفردًا أم مجموعًا إذا ما سُبِق هذا الضمير بحرف لين قصير، ثم ينقلون حركة الضمير المحذوف إلى الحرف قبله، فكلمة "سرقتُ" أصلها: "سَرَقَتُهُ"، وكلمة "دريةُ" أصلها: "دريتُهُ". انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: السابق، ص ١٥٦.

(٤) انظر: ابن عبدون: رسالة فى القضاء والحسبة، ص ١٨. المقرى: نفح الطيب،١ / ٢١٩ ابن عربى: رسالة روح القدس، ص ١٢٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ٢ / ٢٦٦ .

ولكل زقاق بائت فيه، له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معدّ، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم، وإغيائهم في أمور التلصص، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة، ويفتحوا الأغلاق الصعبة، ويقتلوا صاحب الدار خوف أن يقرَّ عليهم أو يطالبهم بعد ذلك، ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع (دار فلان دُخلت البارحة) و(فلان ذبحه اللصوص في فراشه)، وهذا يرجع التكثير منه والتقليل إلى شدة الوالي ولينه، ومع إفراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دمًا فإن ذلك لا يُعدم، وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنقود سرقه شخص من كَرْمٍ وما أشبه ذلك، فلم ينته اللصوص»[1] وهكذا يشير المقرى في مواضع متفرقة إلى حال المجتمع وما يعانيه من شر هؤلاء اللصوص، فيقول: "دار فلان دخلها اللصوص البارحة"، ويقول: "فلان ذبحه اللصوص في فراشه"[2].

من هنا فقد ظهر لنا حرص أهل قرطبة على بناء الأسوار حماية لأنفسهم من هؤلاء اللصوص وخوفًا منهم، ورغم ذلك فقد عبروا فى أمثالهم أن هذه الأسوار لم تغن عنهم شيئًا، ولم تمنع اللصوص من سرقة بيوتهم، فقالوا: (آش اعمل الصور-السور- إلّى لأبناء الحلال)[3]، وكانت جبال قرطبة مركزًا لقطاع الطرق، واشتهر بعضهم بذلك، ومن أشهر الأسماء المعروفة عندهم بذلك "الأشهب البازى" و"أبى الرسيد"[4]، وللشاعر ابن مسعود القرطبى قصيدة يصف فيها لصًّا أخذه فى طريق قرطبة[5].

كما بينت لنا كتب التاريخ الطريقة التى كان يسلكها هؤلاء اللصوص للسرقة، حيث ذكرت - كما أشار المقري آنفًا- أنهم كانوا يتسلقون المبانى المشيدة ويفتحون الأغلاق الصعبة، ويقتلون صاحب الدار حتى لا يتعرف عليهم

---

(١) المقري: نفح الطيب، ١ / ٢١٩ .

(٢) المصدر السابق: نفسه . .

(٣) انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، المثل رقم ٩٩، ص ٣٠٥.

(٤) انظر: ابن بسام: الذخيرة، ٢ / ٧٦ . المقرى: نفح الطيب، ٥ / ٢٦٤-٢٦٥ .

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ٢ / ٧٥-٧٧ وانظر: د. محمد محمود إدريس: الحياة الاجتماعية لطبقة العامة فى قرطبة - المطبعة التجارية الحديثة - القاهرة، ١٩٩٢ م، ص ٥٠.

ويطالبهم بأمواله[1]، وذكرت لنا أن ولاة الأمر شددوا فى عقوبة هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق بأشد أنواع العقوبات زجرًا لهم وردعًا لغيرهم، وشهدت هذه المصادر بأن أشد هذه العقوبات هى عقوبة الصلب، وقد وصف شاعر ثلاثين من هؤلاء اللصوص صُلِبُوا على نهر قرطبة، فقال:

ثلاثون قد صفقوا كلهم ** وقد فتحوا أذرعًا للوداع

وما ودعوا غير أرواحهم ** فكان وداعًا لغير اجتماع[2]

ولم تكتف المصادر التاريخية بذلك، بل ذكرت لنا أيضًا الإجراءات التى اتُّخِذت لحماية الأهالى من هؤلاء اللصوص، فعُمِلت لمدينة قرطبة أبواب لغلق دروبها بعد الغروب، ويُكَلَّف بحراسة الدروب والأزقة الطوافون والعساسون المسئولون عن الأمن فيها؛ فيبيت العسَّاسُ فى الزقاق، ويكون مسلَّحًا بسلاح وكلب حراسة، ومعه سراج مُعَلَّق[3].

* * * *

* الزواج والعلاقات الأسرية:

كشفت الأمثال النقاب عن الزواج والعلاقات الأسرية فى المجتمع الأندلسى، ولا شك أن هذا الأمر كان منتشرًا فى الأندلس كما فى غيرها من المجتمعات، وكان الأندلسيون يعانون أزمة الإنفاق فى الزواج وإعداد العرس، فقالوا فى أمثالهم: (ما أطيب العرس لولا النَّفَاقة)[4]، والنفاقة: أى النفقة،

---

(١) انظر: المقرى: نفح الطيب، ١ / ٢١٩ . وعن البازي الأشهب على وجه الخصوص وما كان يمثله من خطورة في المجتمع الأندلسي في عهد المعتمد بن عباد. انظر:

Claudio Sanchez - Alboraoz: La Espana musulmana segun los autores Islamitas y cristianos medievales - Madrid, 1974, II, pp. 112-113 .

(٢) انظر: المقرى: نفح الطيب، ٤ / ٢١٩ .

(٣) المقرى: نفح الطيب، ١ / ٢١٩ .

(٤) انظر: د. الأهوانى، المثل رقم، ٧٢٣، ص ٣٥٣. من الخصائص البارزة فى لهجة الأندلسيين إطالة أصوات اللين، فتصبح الفتحة القصيرة الف مد، والشاهد على ذلك كلمة "النفقة" الواردة معنا فى هذا المثل، حيث ينطقونها "النفاقة"، وهناك أمثلة كثيرة لهذه القاعدة عند أهل الأندلس، ولمزيد من التوضيح يُرَاجَع د. عبدالعزيز مطر: لحن العامة، ص ١٢٨ وما بعدها. د. رضا عبد الجليل الطيار: الدراسات اللغوية فى الأندلس منذ مطلع القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى، عصر المرابطين والموحدين- منشورات وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية- دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، ص ١٠٩-١١٤.

ويبدو أن الزواج فى غرناطة -على وجه الخصوص- كان رخيصًا وقليل النفقة والتكاليف حتى أن أمثالهم كانت تشجع على الزواج فى غرناطة ومن أهل غرناطة، فقالوا فى أمثالهم: (ازَّوَّج فى غرناطة ومت فى بُلَّيْش)[1].

ولا شك أن الأندلس عرفت "أزمة الزواج فى معظم عصورها، وليس من شك فى أن النساء كن أكثر عددًا من الرجال بسبب الحروب الكثيرة"[2]، وأمثال ابن عاصم وكذلك أمثال أبى يحيى الزجّالى تصور هذه الأزمة وتعبر عن همّ الآباء وتحرضهم على قبول الأزواج دون تردد، يقول المثل: (من خطبك ازوَّاجُ)[3]، أى زوِّجْهُ، وفى مثل آخر: (من كُثور بناتُ كين الكلاب اختينوا)[4]، وفى هذا المثل تظهر صيغة الإمالة التى تتميز بها لهجة أهل الأندلس كما أشار ابن الخطيب وغيره[5]، ومعنى المثل: أن من كثرت بناته صارت الكلاب إخوة له، أى: صاهر أراذل الناس[6]. وهذا المثل من أكثر الأمثال الأندلسية تصويرًا لأزمة الزواج فى المجتمع الأندلسى، حيث إن من كَثُرَتْ بناته يضطر اضطرارًا إلى أن يقبل أى شخص يتقدم لطلب الزواج من إحدى بناته، حتى وإن كان هذا المتقدم من أراذل الناس، كما يدل فى الوقت نفسه على عدم إقبال الشباب فى المجتمع الأندلسى على الزواج كما يتضح بعد ذلك من خلال أمثال أخرى[7]، وكان همّ البنات والقلق عليهن والخوف على

---

(١) انظر: د. عبد العزيز الأهوانى: السابق، المثل رقم ٢٤٣، ص ٣١٥.

(٢) السابق، ص ٢٢٦.

(٣) السابق، المثل رقم ٦٣٨، ص ٣٤٦.

(٤) السابق، المثل رقم ٧٠٤، ص ٣٥١.

(٥) ابن الخطيب: اللمحة البدرية فى الدولة النصرية - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط٢- ١٩٧٨م، ص ٣٨. وقد أكد المقرى كثرة التحريف فى لهجة أهل الأندلس، فقال: "إن كلام أهل الأندلس الشائع فى الخواص والعوام كثير التحريف عما تقتضيه أوضاع العربية". انظر: نفح الطيب، ١ / ٢٢١. وانظر: عبدالواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب- تحقيق: محمد سعيد العريان - القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٣٠. د. عبد العزيز مطر: لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة- دار المعارف- القاهرة- ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٢٩-١٣٠. د. رضا عبد الجليل الطيار: الدراسات اللغوية فى الأندلس، ص ١١٢.

(٦) السابق، ص ٢٦٦، والحاشية رقم ٢ من الصفحة نفسها.

(٧) وعن الزواج وما يتطلبه من لوازم ضرورية تثقل كاهل الآباء، وتسبب المعاناة للأسرة الأندلسية، راجع: د. سعيد سيد أحمد أبو زيد: الحياة الاجتماعية فى الأندلس عصر دولتى المرابطين والموحدين- شركة الهدى للطباعة-قوسينا-المنوفية، ط١، ١٩٩٦م، ص ٢٠٦-٢٠٨.

مصيرهن أمر يشغل الآباء بدرجة كبيرة حتى قالوا فى أمثالهم: (همّ البنات للممات)[1]، ففى هذا المثل تظهر الصورة الإيجابية للمرأة والحرص عليها فى المجتمع الأندلسى، وتستمد هذه الصورة مقوماتها من حميمية العلاقة الرابطة بين الرجل والمرأة وقدسيتها، وبخاصة العلاقة بين الأبوة والبنوة، فهى من العلاقات الناسجة لخيط الصورة الإيجابية للمرأة في الخطاب الشعبي الأندلسي.

ويبدو أن كثيرًا من الأندلسيين كانوا يفشلون فى زواجهم حتى بدأ الناس ينفرون من الزواج خشية الفشل فيه، وكان الواحد منهم لا يضمن النجاح والتوفيق فى زواجه، وأن يكون بختـه أو نصيبه فيه حسنًا، فقالوا فى أمثالهم: (زوِّجنى واضمن لى بخت)[2]، وعلى العكس من ذلك كان بعضهم يرى أن الزواج باب من أبواب الرزق، مصداقًا لقول الرسول ﷺ: (اطْلُبُوا الرِّزْقَ فى النِّكَاحِ)، وهنا يظهر البعد الإسلامى فى الأمثال الأندلسية، بوجود طائفة متدينة تثق فى مقدور الله، وتصدِّق موعود رسول الله ﷺ بفتح أبواب الرزق وسعة العيش فى طلب الزواج والعفاف، ولكن رغم ذلك فإن البعض الآخر كان يصر على النفور من الزواج خشية الفشل فيه كما أشرنا، أو نظرًا لضيق العيش رغم نصيحة الآخرين له بالزواج طلبًا للرزق والفرج وتحسين الوضع المعيشى بإذن الله تعالى، فقالوا فى أمثالهم: (ازوَّج يفتح الله عليك. قال: يفتح؟! وحندك)[3]، أى: وماذا بعد ذلك؟.

أما عن العلاقات الأُسْرية فى الأندلس، ونعنى بها العلاقات بين الأصهار والأقارب، مثل: العم والخال أو الخالة، وابنة العم و... الخ، فإنها كانت تتسم بالتوتر وفقدان الثقة إلى حدٍّ ما، حتى أنهم كانوا يرون أن حق البنت فى الميراث

(١) انظر: د. الأهوانى، المثل رقم ٧٧٩، ص ٣٥٧. وانظر: نادية العشيرى: "صورة المرأة بين الأمثال الأندلسية والإسبانية" - دراسة بمجلة مكناسة (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية)- مكناس- عدد ١٠- ١٩٩٦م، ص ٧-١٤.

(٢) السابق، المثل رقم ٤٢٨، ص ٣٣٠. البخت: هو الحظ والنصيب. انظر مادة "بخت" عند دوزى فى تكملة المعاجم العربية - نقله إلى العربية وعلَّق عليه: د. محمد سليم النعيمى-الأعظمية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م، ١ / ٢٤٧.

(٣) انظر: أمثال أبى يحيى الزجّالى، فى كتاب د. أحمد سالم ولد محمد بابا: الأمثال الأندلسية، دراسة لغوية ومعجمية، المثل رقم ٨٢، ص ٤٨. دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٣ / ٣٤٧.

يضيع بين الأخ والخال أو الخالة، وعبروا عن هذا فى أمثالهم فقالوا: (بين الأخ والخالا يمضى الابنة خسارا)[1]، ومما يدل دلالة قاطعة على توتر العلاقات الأسرية بين الأندلسيين قولهم: (إذا رأيت سلايفك سُلَّ سيفك)[2]، ومعنى المثل لا يحتاج إلى تفسير أو توضيح، فصيغته تُظْهِر لنا بوضوح حالة التوتر والعداء الغالبة على العلاقة بين الأصهار لدرجة وصلت إلى حدّ إشهار السيف فى وجوههم.

وكانت البنت تحتل مكانة مهمة فى المجتمع الأندلسى، ويُعْنَى بها أهلها عناية كبيرة حتى تتزوج، بل إنها بعد أن تتزوج كذلك يظل أبوها أو ولى أمرها شديد القلق عليها والخوف على مصيرها ومستقبلها، ومن هنا قالوا فى أمثالهم: (همّ البنات للممات)[3].

* * * *

*** العادات والتقاليد:**

لقد عبرت الأمثال الأندلسية عن بعض العادات والتقاليد التى كان يعتقدها الأندلسيون ويعملون بها، حيث كانوا يرون أن كثرة صعود الأشجار والنزول إلى الأبيار من الأسباب التى تذهب بالصحة والقوة وتوهن البدن وتسرع فى ذهاب العمر، وبالتالى يموت الإنسان سريعًا، فقالوا فى أمثالهم: (تد تعيش كثير لا تطلع ثمار ولا تهبط فى بير)[4]، و "تد" بمعنى: تريد.

كما كان من عاداتهم الاعتقاد فى بعض الأمصال وأنواع الترياق المختلفة التى كانوا يجلبونها من بيت المقدس للعلاج، فيشفى من يتناولها سريعًا، ووصل الأمر إلى أن أصبح هذا عقيدة عندهم وموضعًا لضرب الأمثال، فقالوا: (بَيْدَمَ يجى الترياق من بيت المقدس يذهب صحب الوجع)[5]، و "بَيْدَمَ" بمعنى: بينما.

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٣١٨، ص ٣٢٢.

(٢) د. أحمد سالم محمد بابا، السابق، المثل رقم ٥٥، ص ٤٥.

(٣) السابق، المثل رقم ٧٧٩، ص ٣٥٧. وانظر: نادية العشيرى: "صورة المرأة بين الأمثال الأندلسية والإسبانية"، ص ٧-١٤.

(٤) السابق، المثل رقم ٣٤٧، ص ٣٢٤.

(٥) السابق، المثل رقم ٣١٥، ص ٣٢١. "بَيْدَمَ" بمعنى: بَيْنَمَا أو حينما أو ريثما وتأتى أحيانًا فى صيغة "بَيْدَامَ"، بمعنى: حين، أو وقت. انظر: رينهارت دوزى: تكملة المعاجم العربية، ١/ ٤٦٩ . وتأتى فى اللهجة البربرية=

وكانوا يرون أن سؤال العليل الذى أصيب بمرض معين ثم شفى منه أنجع وأفضل من سؤال الطبيب عن هذا المرض؛ لأن العليل هو الذى ذاق المرض وعرف وسيلة الشفاء منه، فقالوا فى المثل: (اسأل العليل ولا تسأل الطبيب)[1]، وهذا يشبه تمامًا المثل المصرى العامى القائل: (اسأل مجرَّب ولا تسْألشى طبيب)، ووجود هذا المثل بين الأمثال الأندلسية التى يستعملها الأندلسيون للتعبير عما كان يسود بينهم من عادات وتقاليد يؤكد لنا مدى تأثير الأمثال المشرقية فى المجتمع الأندلسى، وكيف كان المثل ينتقل من بيئة إلى بيئة ويصلح للاستخدام فى بيئة غير بيئته الأصلية إذا صادف هوى فى نفوس أهل البيئة الجديدة، وكان مرآة صادقة لما يسود بينهم من عادات وتقاليد، أو كان معبِّرًا عما كانوا يعايشونه من قضايا ومشكلات.

كما كان من عادة الأندلسيين التهادى فيما بينهم، وبخاصة فى المناسبات، وكانوا لا ينظرون إلى نوع الهدية أو ثمنها، ولكن ينظرون إلى قيمتها المعنوية ومعناها، فقالوا فى أمثالهم: (الهدية مقبولة ولو كانت فولة)[2].

وكان من عاداتهم أيضًا عمل الكعك، وبخاصة فى الأعياد والمناسبات كذلك، وكان يقوم بعمل هذا الكعك عندهم أفراد محترفون، ولا يستطيع أن يتعرض لهذا العمل إلا من احترفه وأجاده وتمكن منه حتى لا يكون موضع استهزاء وسخرية من الآخرين، فإنهم يقولون فى المثل: (آش كل مدوَّر كعك)[3]، ويمدحون المحترفين فى صناعته، ويؤكدون أن الكعك لا يؤكل إلا من يد من أجاد صناعته وخبزه، فيقولون: (آش يكل الكعك إلّى من يد صُنَّاعُ)[4].

= عند المغاربة بصيغة "بيْدَامَا" بمعنى: كى أو لكى. انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب "تطوان وما حولها"، ص ٢٣٣.

(١) السابق، المثل رقم ٢١٤، ص ٣١٣.

(٢) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ١٦٣، ص ٥٣، وقد ورد هذا المثل عند ابن عاصم بلهجة الإمالة، فقالوا: (الهدى مقبول ولو كينت فول)، انظر: د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٩٧، ص ٣١٢.

(٣) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٢٥، ص ٣٠٧.

(٤) السابق، المثل رقم ١٢٦، ص ٣٠٧.

وتوضح لنا الأمثال كذلك أن السلف والاقتراض كان من العادات المنتشرة بين الأندلسيين، حيث يقترض بعضهم من بعض إلى حين ميسرة، رغم أنهم كانوا يكرهون هذا السلف ويرون أنه خسارة من الجانبين، وليست من ورائه فائدة، ولكن صاحبه، أى الذى أقرض، لا شك أنه مشكور، وقد عبروا عن ذلك فى أمثالهم، فقالوا: (السلف مردود وصاحبُ مشكور)[1]، ولكنهم لا يحبون هذه المعاملة، فقالوا: (السلف إما عداوة وإما تلف)[2]، وهذا يشبه المثل المصرى العامى القائل: (السلف تلف والرد خسارة).

* * * *

*** حرف الأندلسيين:**

وتفيدنا الأمثال كذلك فى الكشف عن بعض الحرف التى كان يحترفها ويمارسها الأندلسيون ويعملون بها، ويظهر من خلال الأمثال أن أكثر الحرف انتشاراً بين الأندلسيين هى مهنة أو حرفة الصيد، سواء الصيد البحرى أو الصيد البرى، ولكن الأمثال لا تتحدث إلا عن الصيد البرى واستخدام الكلاب المعلَّمة كوسيلة من الوسائل التى تستخدم فى مثل هذا النوع من الصيد، وهى وسيلة معروفة فى كثير من أقطار العالم، وبخاصة فى البلاد التى تمتلك مساحات شاسعة من الغابات، كما كانت هذه الحرفة وسيلة من وسائل التسلية والترفيه عند الخلفاء والولاة وذوى المكانة العالية فى المجتمع الأندلسى، وكان من بين الأندلسيين كثير من الصيادين المحترفين الذين يتقنون هذه الحرفة، فقالوا فى المثل: (آش قطعت أذنيها إلَّى أن تكون صياد)[3]، وفى مثل آخر يقولون: (لو كان فَالغراب خير ما يكرموه الصياد)[4]، ويقولون: (لو كان فالبوم خير ما

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٦٨، ص ٣١٠.

(٢) د. أحمد سالم محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ٣٣، ص ٥١.

(٣) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٤٠، ص ٣٠٨.

(٤) السابق، المثل رقم ٦٠٩، ص ٣٤٤. "فالغراب" تعنى: فى الغراب، وحرف الجر "فى" فى لهجة الأندلسيين لا تمد فاؤه وتُنْطَق قريبة إلى الفتح، ولذلك يكثر ورودها فى الأمثال متصلة بالاسم التالى لها مع إثبات الفتح عليها. انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، ص ٢٧١، حاشية رقم (١)، د. عبدالمنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ١٦٩-١٧٠.

كيسلم على الصياد)[1]، وعن الكلاب كوسيلة من وسائل الصيد يقولون: (لا من الكلاب ولا من الصياد)[2]، وفى مثل آخر: (آش يصطاد الكلب إلا كاره)[3].

وقد شهدت المصادر التاريخية بولع الأندلسيين بالصيد، وتحدثت عن الوسائل التى يستخدمونها فى هذه الحرفة، فذكرت أنهم يصطادون باستخدام الفخ، أو بمطاردة الكلاب، أو باستخدام الصقور[4].

ومن الحرف التى تحدثت عنها الأمثال كذلك حرفة القصَّار، وهو الذى يقوم بخياطة الملابس وصباغتها، وكانت هذه الحرفة من الحرف المنتشرة فى المجتمع الأندلسى، وكان لصاحبها أهمية كبيرة عند الأندلسيين، حيث إنهم كانوا يأتمنونه على ثيابهم، وأنهم عندما يعطونه ملابسهم ليخيطها أو يصبغها لهم فكأنهم أعطوه كل ما يملكون، وضربوا بذلك المثل فى قولهم: (الرهنُ بيد القصَّار)[5].

* * * *

* الأخلاق والمعاملات والصفات:

وأول مانتحدث عنه فى هذا الباب (علاقة الأندلسى بجاره الأندلسى المسلم)، أى علاقة الأندلسى بجاره الذى يسكن إلى جوار داره، أو يسكن معه فى شارع واحد أو حارة واحدة أو زقاق واحد، فقد كانت هذه العلاقة متقلبة بين علاقات الود أحيانًا وعلاقات الحذر والحيطة أحيانًا أخرى، وهذه الصورة لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات، وكان الأندلسى يرغب فى أن يكون له

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٦١١، ص ٣٤٤. الفعل "كيسلم" فى هذا المثل فعل مضارع سُبِقَ بالكاف، وقد سبق أن أشرنا إلى هذه القاعدة فى لهجة الأندلسيين والمغاربة، وقد ورد المثل فى مواضع أخرى بكلمة "فالبون" بدلاً من "فالبوم"، وكلمة "بون" ضرب من الطيور، ذكره ياقوت الحموى فى طيور جزيرة تنيس، ١ / ٨٨٥، وكذلك القزوينى: آثار البلاد، ص ١٧٧، انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ١ / ٤٩١، حاشية رقم ٩٣٥.

(٢) السابق، المثل رقم ٨٠٦، ص ٣٦٠.

(٣) السابق، المثل رقم ١٣٥، ص ٣٠٨.

(٤) انظر: المقرى: نفح الطيب، ١ / ١٨٥، ٥ / ٦١. د. سعيد سيد أحمد أبو زيد: الحياة الاجتماعية فى الأندلس عصر دولتى المرابطين والموحدين، ص ١٩٢-١٩٤.

(٥) السابق، المثل رقم ١٨٥، ص ٣١١.

جار لطيف طيب، ينفعه وقت الشدة، وكان إذا رزقه الله جارًا طيبًا يدعو الله ألا يزول هذا الجار أبدًا، وقد عبر الأندلسيون عن هذه الرغبة الصادقة فى أمثالهم، فقالوا: (إذا كان معك جار لطيف ادعى إلى الله أن لا يزول)[1].

بل كانوا يقدسون علاقة الجار بجاره، ويوجبون على الجار أن يبذل كل ما فى وسعه لمساعدة جاره حتى وإن اضطر إلى أن يبيع داره التى يقيم فيها ليحقق رغبة جاره فى حاجة معينة كالحج مثلاً، حتى وإن اضطر إلى أن يستدين ليحقق رغبة جاره، وقد عبروا عن هذه العلاقة المقدسة وهذه التضحية لإسعاد الجار وتحقيق أمنيته، فقالوا فى المثل: (إذا حج جارك بع دارك، وإن حج مرتين بيعها بالدين)[2]، وقالوا: (إذا رأيت لحية جارك تنتف اجعل متاعك فى البل)[3].

هذا هو الجانب الإيجابى من علاقة الجار بجاره الأندلسى، ولا شك أن لهذا الجانب بعدًا إسلاميًّا هو الاستجابة لوصية رسول الله ﷺ بالجار ومراعاة حقوقه وعدم المساس أو الإخلال بها، وقد قال فى حديثه الشريف: "مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه سَيُوَرِّثُهُ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[4]، وبذلك نجد أن الأمثال تعكس لنا القيم والمبادئ الإسلامية التى كان يتحلى بها المجتمع الأندلسى المسلم، ومدى التزام المسلمين وتمسكهم بهذه القيم وتلك المبادئ والتعاليم.

والجانب الإيجابى من علاقة الجار بجاره الأندلسى ليس هو الجانب الوحيد، بل هناك الجانب السلبى من هذه العلاقة، والنفرة التى تحدث بين الجيران أحيانًا، حتى أن أحدهم يكاد يستغنى عن جاره، فلولا أنه يريد من جاره

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٥٧، ص ٣٠١.

(٢) د. أحمد سالم: أمثال الزجّالى، المثل رقم ١، ص ٤١، وقد ورد هذا المثل عند ابن عاصم أيضًا. انظر: د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٢٦ أ، ص ٢٩٩.

(٣) د. أحمد سالم: السابق، المثل رقم ٢، ص ٤١، وقد ورد هذا المثل عند ابن عاصم أيضًا بصيغة: (إذا رأيت لحية جارك تنتف اجعل متاعك فى الدباغ). انظر: د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٢٦، ص ٢٩٩. وانظر مادة "بل" عند دوزى فى تكملة المعاجم العربية، ١ / ٤١٢-٤١٤.

(٤) فتح البارى/ الأدب ١٠/ ٤٤١، رقم: ٦٠١٤، ٦٠١٥. مسلم/ البر والصلة والآداب، ج ٤/ ٢٠٢٥، رقم ٢٦٢٤، ٢٦٢٥. وانظر: جامع الترمذى/ البر، باب ٢٨. وابن ماجه/ الأدب، باب ٤. ومسند أحمد، ٢ / ٨٥، ١٦٠، ٢٥٩، ٣٠٥، ٤٤٥، ٤٥٨، ٥١٤، ج ٥/ ٢٢، ٢٦٥، ج ٦/ ٥٢، ٩١، ١٢٥، ١٨٧، ٢٣٨.

شيئًا ما زاره ولا سأل عنه، ولا رأى له وجهًا، فهى إذًا صلة المنفعة وفقط، وقد صورت لنا الأمثال الأندلسية هذا الجانب السلبى من هذه العلاقة، فقال المثل: (لولا حاجتى ما زرتك يا جارتى)[1]، وكان الواحد منهم أحيانًا لا يعرف جاره إلا إذا أصابته شدة أو مصيبة، فعندئذ يلجأ إلى جاره يطلب منه المساعدة، فإذا ذهبت عنه هذه الشدة وتلك المصيبة وأصبح فى رخاء ويسر استغنى عن جاره، وقد عبرت الأمثال عن هذه العلاقة المصلحية فقالوا: (بنخالتنا نَسْتَغْنوْا عن دَرْمَكِ جارتنا)[2]، والدَّرْمَك: هو الدقيق الجيد فى لغة أهل الأندلس. وهكذا كانت العلاقة بين الجيران فى المجتمع الأندلسى تتسم بالتقلب وعدم الثبات على حال واحد شأن جميع المجتمعات.

وتشير الأمثال كذلك إلى الصداقة حيث كانت من الأمور التى يقدسها الأندلسيون، وينظرون إليها نظرة احترام وتقدير، ويرون أن الصديق يجب ألا يبتعد عن صديقه كثيرًا، وأن يكون دائم القرب منه والاتصال به؛ لأن البعد والجفاء يقطع أصول وروابط المحبة، وقد عبروا عن ذلك فى أمثالهم فقالوا: (غُزر الجفا يقطع أصول المحبة)[3]، ويظهر فى هذا المثل البعد الإسلامى وأثر نهى الرسول ﷺ عن هجرة المسلم لأخيه المسلم فوق ثلاثة أيام فى البيئة الإسلامية، فعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: "لايَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثلاث ليال، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذا وَيُعْرِضُ هذا وَخَيْرُهُمَا الذى يَبْدَأُ بالسَّلامِ". مُتفقٌ عليه[4].

---

(١) انظر: د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٦١٨، ص ٣٤٥.

(٢) السابق، المثل رقم ٣٢٣، ص ٣٢٢، و"الدَّرْمَك": فى لغة الأندلسيين والمغاربة هو دقيق الحوَّارى، وهو أجود أنواع الدقيق. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٤ / ٣٤٠. ومن ناحية أخرى فقد ذكر السقطى أن (دَرْمَك) Darmak نوع من أنواع القمح؛ حيث ذكر نوعين منه، الأول وهو الأجود ويسمى دَرْمَك Darmak، ويعطى دقيقًا ناصع البياض، والآخر يسمى المدهون، ويطلق عليه بالإسبانية Almodon. انظر: السقطى: كتاب فى آداب الحسبة- نشر ليفى بروفنسال وكولان- باريس، ١٩٣١م، ص ٢٦. وبهذا يظهر لنا أن دَرْمَك نوع من الدقيق الجيد، وقد اكتسب هذا الاسم من نوع القمح المستخرج منه طبقًا لرواية السقطى.

(٣) السابق، المثل رقم ٥٢٨، ص ٣٣٨. غُزر من الغزارة، وتعنى الزيادة والكثرة.

(٤) فتح البارى/ الأدب ج ١٠/ ٤٩٢، رقم ٦٠٧٧. وانظر/ الاستئذان رقم ٦٢٣٧. وانظر حديث أنس برقم ٦٠٦٥، ورقم ٦٠٧٦.

وكذلك يؤكدون أن الصديق يجب أن يبذل كل ما فى وسعه ليدفع الضُّرَّ عن صديقه مهما كلفه ذلك، يقولون فى المثل: (كن حبيب امْلِيح ولطام الريح)[1]، أى كن صديقًا وفيًّا حتى وإن لاطمت الريح من أجل صديقك، ويرون أن الصديق يشبه صديقه فى كل شىء ويتأثر به وبأخلاقه، فيكون على شاكلته، فالإنسان خيِّرٌ صالح إن صاحب الأخيار والصالحين، وهو فاسق سيىء الخلق إن صاحب الأراذل والفُسَّاق، وقد عبروا عن هذا المعنى وذاك الانطباع فى أمثالهم فقالوا: (مع من تسكن بحال تكون)[2]؛ أى تكون شبيهًا له، ويظهر لنا من هذا المثل وضوح البعد الإسلامى وأثر البيئة والعقيدة الإسلامية فى صفات الأندلسيين وأخلاقهم وعاداتهم الشخصية، ومن الأقوال المأثورة التى تؤكد هذا المعنى: (قل لى من تصاحب أقل لك من أنت)، وهذا ما يؤكده حديث رسول الله ﷺ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: "الرَّجُلُ علَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِلُ". رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح وقال الترمذى: حديث حسن[3].

* * * *

وكان الأندلسيون يحبون حياة التعاون، ويرون أن الإنسان لم يُخْلق لنفسه فقط، وإنما خلق ليعيش مع الناس، فينتفع بهم وينتفعوا به، فالإنسان اجتماعى بطبعه، لا يمكنه أن يعتزل الناس ويعيش وحده، وطالما أن الحياة تفرض وجود المجتمع، فلابد من التعاون والتضافر لمواجهة الصعاب ومقاومة أزمات الحياة، وكذلك مشاركة الغير فى أفراحه ومواساته فى أتراحه، ومن هنا قال الأندلسيون

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٦٠١، ص ٣٤٣.

(٢) السابق، المثل رقم ٧٣٦، ص ٣٥٤. ولفظ "بحال" عند الأندلسيين والمغاربة تقوم مقام كاف التشبيه أو لفظ: شبيه أو مثل، وتأتى أحيانًا بمعنى: كَمَنْ أو كالذى. انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ٢٣٢. د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، ص ٢٦٣، حاشية رقم (٢). وتأتى أحيانًا فى صيغة "بحَلْ" ويبدو أنها تصحيف "بحال"، وتعنى: كما و بمقدار. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ١ / ٢٤٦.

(٣) أبو داود/ الأدب ٥/ ١٦٧، رقم ٤٨٣٣. جامع الترمذى/ الزهد، باب صحبة المؤمن، ج ٤/ ٦٠٠، رقم ٢٣٧٩، وقال: حديث حسن غريب.

فى أمثالهم: (مت مع الناس ولا تعش وحدك)[1]، ويرون أن من لا ينفع الناس ولا يساعدهم فالموت أولى به، والأكثر من ذلك أنهم يرون أن موت هذا الشخص الأنانى عُرس وسعادة للأخرين، فقالوا عن ذلك: (من لش تنفعك حياته فموته عرس)[2]، وأن من قل خيره ونفعه، يجب أن يُهْمَل ويترك حتى يموت كمدًا، فالناس غيره كثيرون، وقد عبروا عن هذا فى أمثالهم فقالوا: (خل من قل خيرُ، فالناس غيرُ)[3]، وقالوا: (من لا ينفع ادفع)[4].

كما كان الأندلسيون يحبون التناصح فيما بينهم، ويرغبون فى ذلك رغبة شديدة، وكانوا ينظرون إلى من لا يقبل النصيحة أو يسعى إلى طلبها نظرة احتقار واستهانة، وقد عبروا عن وجهة النظر هذه فى أمثالهم، فقالوا: (من لا يقبل النصيحة أوغيه)[5]، وقالوا: (نصحناهم فما قبلوا)[6]، وكانت نصيحة الكبير عندهم مقدسة، ويجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها؛ لأن هذا الكبير عنده من الخبرة والعلم ما يؤهله لأن تكون نصيحته ذات قيمة كبيرة؛ لأنها صدرت عن خبرة ودربة وحنكة، فقالوا: (من لا يسمع من كبيرُ يرجع الخرا نصيرُ)[7]، ويرون أن من زاد عليك في العمر زاد عليك فى العلم والخبرة، وهذا يوجب على المنصوح أن يحترم ويقدِّر نصيحة من يكبره، فقالوا: (من زاد عليك بنهار زاد عليك بخبار)[8]، وهذا يشبه تمامًا المثل المصرى العامى القائل: (أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة).

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٧٥٠، ص ٣٥٥.

(٢) السابق، المثل رقم ٦٩٣، ص ٣٥٠. "لش" بمعنى: ليس.

(٣) السابق، المثل رقم ٣٩٢، ص ٣٢٧. والخل هو الخليل والصاحب، "فالناس غيرُ" أى: فى الناس غيره، فالفاء هنا هى اختصار حرف الجر "فى"، وهو فى اللهجة الأندلسية لا تمد فاؤه، وتنطق قريبة إلى الفتح، ولذلك يكثر ورودها فى الأمثال متصلة بالاسم التالى لها مع إثبات الفتح عليها. انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، ص ٢٧١، حاشية رقم (١).

(٤) السابق، المثل رقم ٦٨٦، ص ٣٥٠.

(٥) السابق، المثل رقم ٦٨٥، ص ٣٥٠.

(٦) السابق، المثل رقم ٧٧٠، ص ٣٥٧.

(٧) السابق، المثل رقم ٦٧٤، ص ٣٤٩.

(٨) السابق، المثل رقم ٦٤٥، ص ٣٤٧.

وكان الأندلسيون فى أغلب أحوالهم أهل كرم ونجدة، حيث كانوا كثيرى الصدقة وبذل المعروف والعطف على الفقراء[1]، والاهتمام بالضعفاء والمساكين واليتامى[2]، بل وصلت الصدقة عندهم إلى أن أصبحت أمرًا مقدسًا لا بد أن يقوم به الواحد منهم حتى وإن كان لا يملك إلا أقل القليل، وقد نقلت إلينا أمثالهم هذه الصفة الطيبة، فقالوا فى أمثالهم: (عَيْشَه أش معهَ ما تلْعَق على الجرين تِصدَّق)[3]، أى أن عائشة ليس معها، أو ليس عندها، ما تأكله ورغم ذلك فإنها تتصدق على الجيران بما تملك، كما كان الأندلسيون أيضًا يحبون ويفضلون هذا المعطى المتصدق حتى وإن كان من أصحاب الخطايا والعيوب، فقالوا: (العاطى ولو كان خاطى)[4]، ولكثرة ما كان يُنْفَقُ ويُتَصَدَّقُ به على الأيتام تمنى كثير من الناس أن لو كانوا أيتامًا حتى ينالهم حظٌّ من هذه الصدقات الكثيرة الوفيرة، فقالوا فى أمثالهم: (يزين الحبس حتى يتمنى فيه رقدا)[5]، والحبس هو ما يُحْبَسُ ويُوقَف من الأموال للإنفاق على الأيتام، وقد استشهد ابن عاصم لهذا المثل بقول الشاعر:

وتكفل الأيتام عن آبائهم ** حتى وَدِدْنَا أننا أيتامُ

وكانوا يدركون دائمًا أن اليتيم فى حاجة إلى المساعدة، فقالوا فى أمثالهم: (اليتيم أولى بالعسرة)[6]، وكانوا لا يقابلون السيئة بالسيئة، بل يقابلون السيئة

(١) انظر: البُنَّاهى: المرقبة العليا، ص ١٠٩. ابن بشكوال: الصلة، ٢ / ٥٥٤-٥٥٥.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ١ / ٢١٠-٢١٣. ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢ / ٢١٧. وانظر: د. سعيد سيد أحمد أبو زيد: الحياة الاجتماعية فى الأندلس، ص ٢٠١.

(٣) انظر: د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٥٠٢، ص ٣٣٦. "عيشة" هى النطق العامى أو الشعبى لاسم العلم: عائشة فى لهجة أهل الأندلس، وهو معروف أيضًا بهذا النطق فى العامية المصرية، وقد كان لأهل الأندلس طريقة خاصة فى نطق أسماء الأعلام، فهم يقولون: عيشة فى عائشة، وفَطْمَة فى فاطمة، وخَدِجَّة فى خديجة، ومِينَة فى أمينة، وهِيشام فى هِشام.... الخ. انظر: د. رضا عبد الجليل الطيار: الدراسات اللغوية فى الأندلس، ص ١١٣.

(٤) انظر: د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجالى، المثل رقم ١٥٢، ص ٥٣.

(٥) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٨٣٠، ص ٣٦٢، وعن مادة "رقد" انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٥ / ١٨٥.

(٦) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجالى، المثل رقم ١٦١، ص ٥٣. وقد أفرد د. إبراهيم القادرى بوتشيش فصلاً مهمًّا -الفصل السادس- فى كتابه: الإسلام السرى فى المغرب العربى، تحت عنوان: الأيتام فى الأندلس من خلال وثيقة تعود للعصر المرابطى. انظر: ص ١٥١-١٥٧.

بالحسنة، وقد عبروا عن هذا الخلق الطيب فى ذلكم الشخص الذى يعامل الناس بضد ما يعاملونه به، فهم يمنعون عنه متاعهم، ورغم ذلك فهو يعطيهم ما يمنعونه عنه، ولو عاملهم بمثل ما يعاملونه به ما لامه أحد أو عتب عليه، فقالوا: (عَيْشَه تعطى متاعهَ من يمناعه)[1]، ويظهر فى هذا المثل البعد الإسلامى المتمثل فيما علَّمه رسول الله ﷺ لأمته، حيث كان من أخلاقه ﷺ أنه دائمًا يقابل السيئة بالحسنة، فيعطى مَن حرمه، ويصل مَن قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويحلم على مَن يجهل عليه، كما تعطينا الأمثال الأندلسية ملمحًا مهمًّا عن كثرة ما يتصدق به الأندلسيون على طلبة العلم حتى يتمكنوا من التفرغ لطلب العلم وحضور حلقاته، والدليل على ذلك ما يتداولونه فى أمثالهم، حيث قالوا: (يفرَّق مالُ على متعلمين)[2].

ويبدو أن الأندلسيين كانت لهم فى بعض الأحيان مجالس للمفاخرة بالأنساب والأحساب، بيد أن الغالبية العظمى منهم كانت تكره ذلك، وترى أن الاستناد للعمل والجد والمثابرة أفضل من ذلك، وأن على الإنسان أن يثبت ذاته بنفسه ولا يرتكن إلى حسبه أو نسبه، وقد عبروا عن ذلك فى أمثالهم، فقالوا: (خلى جدى وجدك وارجع لجلدى وجلدك)[3]، وقالوا: (لا ستى شى ولا سيدى شى)[4]، وقالوا: (كل أحد لأصلُ يرجع)[5].

* * * *

* قيمة العمل عند الأندلسيين:

وكان من مبادئ الأندلسيين أنهم يقدرون العمل ويحثون على السعى ونبذ الكسل، وكانوا يكرهون البطالة، ويرون أنها حماقة، بل كانت أمثالهم تنفِّر من

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٥٠٣، ص ٣٣٦.
(٢) السابق، المثل رقم ٨٢٨، ص ٣٦٢.
(٣) السابق، المثل رقم ٣٩١، ص ٣٢٧.
(٤) السابق، المثل رقم ٨٠٨، ص ٣٦٠.
(٥) السابق، المثل رقم ٥٧٨، ص ٣٤٢.

الجلوس مع العاطل؛ زجرًا له، وحتى يثبت فى أذهان غيره أن العاطل مكروه ممقوت من الناس حوله، ومن المجتمع كله، وقد أفاضت أمثالهم فى الحديث عن هذا الأمر، فقالوا: (الجلوس بلا شغل يُحَمِّق)[1]، وللتنفير من البطالة والجلوس بلا عمل، كانوا يرون أن العمل فى أى شىء حتى ولو كان بالمجان ودون أجر أو مقابل أفضل من أن يكون الشخص عاطلاً بلا عمل، فقالوا: (اخدم باطل ولا تجلس عاطل)[2]، كما كان شرب الخل عندهم أفضل من الجلوس بلا عمل، فقالوا: (شرب الخل ولا العطالة)[3].

"وقلَّت الأمثال الداعية إلى الاستسلام والقعود عن طلب الرزق انتظارًا للحظ أو استسلامًا للقضاء والقدر، فلا عجب بعد هذا أن يكون ازدهار الزراعة واستبحار العمران، ما دام حب العمل قد بلغ من نفوس الغرناطيين هذا الحدّ"[4]، ولا شك أن هذا الاجتهاد وطلب العمل عند الأندلسيين هو أحد العوامل المهمة التى بنت الحضارة الأندلسية الزاهرة التي لم يُسْبَق إليها الأندلسيون.

وكانت كثرة الأمثال الداعية إلى العمل والاعتماد على النفس من أبرز الأدلة على كراهية الأندلسيين للبطالة والقعود عن العمل، وفى هذه الأمثال بينوا أن من يعتمد على عمل غيره، يظل ذليلاً لا يملك شيئًا، فقالوا: (من اتكل على أديم جارةُ تصبح قشيرةُ على الغطا)[5]، وأشاروا إلى أنه بالعمل يحقق الإنسان الاكتفاء الذاتى لنفسه، وبالتالى يستغنى عن غيره ويحمى نفسه من ذل السؤال حتى ولو كان ما يحصل عليه من عمله قليلاً، فقالوا: (بنخالتنا نستغنو عن دَرْمَك جارتنا)[6]، وذكروا أن من يواظب على العمل ينال ما يتمناه ويحقق ما يصبو

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٧٢، ص ٣١٠.

(٢) السابق، المثل رقم ٢٢٥، ص ٣١٤. ولفظة "باطل" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة تعنى: بالمجان أو مجانًا دون مقابل.

(٣) السابق، المثل رقم ٤٥٩، ص ٣٣٣.

(٤) السابق، ص ٢٧٠.

(٥) السابق، المثل رقم ٦٣٩، ص ٣٤٦. "الأديم" هو الأدم. والمعنى أن من اعتمد على سمن جارته لم يطبخ. والإدام هو المرق والحساء. انظر مادة "أدم" عند دوزى فى تكملة المعاجم العربية، ١ / ٩٦.

(٦) السابق، المثل رقم ٣٢٣، ص ٣٢٢. والدَّرْمَك: هو الدقيق الجيد. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٤ / ٣٤٠.

إليه، فقالوا: (من واضب الرحا يطحن)[1]، وجاء فى هذا المعنى قولهم: (من توضى قبل الوقت يصلى فالوقت)[2]، وبينوا أن الإنسان إذا كان يكفى نفسه اليوم بالاعتماد على غيره، فإن هذا الوضع وضع مؤقت لا يدوم ولا يحقق لصاحبه سعادة أو اكتفاءً، وبالتالى فلا بد من العمل والاجتهاد، فقالوا: (ثوب العير لا يدوم ولا يدفى)[3]، أى أن كل شىء تملكه لا بد أن يكون من كدك وعملك وجهدك، وليس بالاعتماد على غيرك، وجاء فى تصوير الطموح وبُعْد الهمة قولهم: (لو رِدْت خبز وزيتون حرّة دارى كنكون)[4]، وبذلك يتبين لنا من كثرة هذه الأمثال أن العمل والاجتهاد كان دأب الأندلسيين وشيمتهم التى لا يفارقونها.

كما حملت لنا الأمثال مجموعة من التوجيهات الأخلاقية المهمة، والتنفير من الرذائل، فقد بينت لنا مدى التزام الأندلسيين بمبادئ الإسلام والتقيد بتوجيهاته، فقد كانوا يكرهون أكل الحرام وقول الباطل، ويؤكدون أن هذا من الصفات الذميمة التى لا يقبلها الخلق الكريم والأصل الرفيع، فضلاً عن تحريم الإسلام لذلك، فقالوا: (آش ياكل الحرام إلا بالتفق)[5]، أى أن الحرام لا يؤكل إلا باتفاق مجموعة من أراذل الناس على ذلك، وأكدوا ذلك فى قولهم: (آش يقال الحق إلّى بشواى من باطل)[6]، فالمثل يسخر من هؤلاء الذين لا يقولون الحق إلا ويصحبونه بشىء من الباطل، فهو الحق المختلط بالباطل.

وكشفت الأمثال كذلك عن بعض الصفات السلبية التى ظهرت فى المجتمع الأندلسى، مثل النفاق، ومحاولة تحقيق المراد عن طريق الكذب والاحتيال ومداهنة من لك عنده مصلحة أو منفعة حتى تُقْضَى، وقد عبر الأندلسيون عن ذلك فى أمثالهم، فقالوا: (قل للحمار سيدى حتى تجوز الوادِ)[7]، وكثر فى

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٦٨٨، ص ٣٥٠. "واضب" لغة فى "واظب؛ أى: داوم واستمر.

(٢) السابق، المثل رقم ٦٥٥، ص ٣٤٨.

(٣) السابق، المثل رقم ٣٤٩، ص ٣٢٤.

(٤) السابق، المثل رقم ٦١٧، ص ٣٤٤.

(٥) السابق، المثل رقم ١٢٨، ص ٣٠٧، "التفق" أى: الاتفاق. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٢ / ٥١، حاشية رقم ١٧٩.

(٦) السابق، المثل رقم ١٣٠، ص ٣٠٧.

(٧) السابق، المثل رقم ٥٦٦، ص ٣٤١.

المجتمع الأندلسي كذلك من ينافق غيره بكلام معسول في وجهه، حتى إذا ما اختفى عن وجهه أو توارى عنه قال فيه بفحش القول، وهذا أيضًا من النفاق، فجاء في المثل: (في الوجه مملاسة، في القفا مكناسة)[1]، وهذا يشبه تمامًا المثل المصري العامي القائل: (في الوش مراية وفي القفا سلاّية)، وقد أكد الأندلسيون هذا المعنى في مثل آخر، فقالوا: (إذا غاب الوجه آش للقفا من حرمة)[2].

كما تحدثت الأمثال كذلك عن القحاب والسكارى، ولا شك أنهم كانوا يوجدون في المجتمع الأندلسي، حيث لكل مجتمع شواذه، وكان يصيب الناس منهم أذى كثير، سواء بالكلام والتلفظ بألفاظ تخدش الحياء، أو بالأفعال التي تضر بالآخرين ويندى لها الجبين[3]، فكان الأندلسيون إذا أصابهم شيء من الكلام الخادش للحياء يفضلون السكوت وعدم الرد على هذا الكلام حتى لا يتطور الأمر إلى ما لا تُحْمَد عُقباه، وقد عبروا عن ذلك في أمثالهم، فقالوا: (جواب أبناء القحبات السكوت)[4]، واستشهد ابن عاصم لهذا المثل بقول الشاعر:

إذا نَطَقَ السَّفيهُ فلا تُجِبْهُ ** فَخيرٌ من إجابته السُّكُوتُ

وعن الضرر الذي يلحقه هؤلاء بالمجتمع الأندلسي وما يصيب الناس من تصرفاتهم الشائنة من ضرر وأذى، قالوا: (لولا أبناء القحبات كيمشي السبع فالسوق)[5].

ومن الصفات الذميمة التي يكرهها الأندلسيون "البخل"، وأن البخيل من

---

(١) د. الأهواني: السابق، المثل رقم ٥٣٩، ص ٣٣٩.

(٢) السابق، المثل رقم ٤١، ص ٣٠٠. وقد ورد هذا المثل عند الزجّالي بصيغة: (إذا غاب الوجه ما للقفا حرمة). انظر: د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالي، المثل رقم ٣٥، ص ٤٤.

(3) Véase: María Jesús Viguera: "La Censura de Costumbres en el Tanbih al-Hukkam de Ibn al-Munasif (1168-1223)" -Actas de las II Jornadas de Cultura Arabe e Islámica (1980)- Instituto Hispano-Arabe de Cultura- Madrid, 1985, p. 598-599.

وانظر أيضًا: د. ماريا خيسوس بيجيرا: "صور من الحياة اليومية في العدوتين من خلال كتاب (تنبيه الحكّام) لابن المناصف، ت ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م"- ترجمة: د. حسن الوراكلي- مجلة المناهل (المغرب)- العدد ٣٨- السنة ١٥- جمادى الأولى ١٤١٠ هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م، ص ١٥٧.

(٤) د. الأهواني: السابق، المثل رقم ٣٦٠، ص ٣٢٥.

(٥) السابق، المثل رقم ٦١٩، ص ٣٤٥.

الأشخاص المكروهين فى المجتمع الأندلسى؛ لأنه لا فائدة تُرْجَى منه، ولا ينفع أحدًا من أبناء مجتمعه، وقد عبّرت الأمثال عن ذلك، فقالوا: (قيراط البخيل ألف مثقال هو)[1]، لأنه لا يعطى إلا بالكاد، فإذا أعطى شيئًا وإن كان تافهًا، فهو كبير القيمة؛ لأنه خرج من بخيل، ويعبر الأندلسيون عن البخل بقولهم: (قمِ أجدّتى أنتِ أخف منّى)[2]، واستشهد ابن عاصم لهذا المثل بقول الشاعر:

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلبهمُ ** قالوا لأمهمُ بولى على النار

ويقولون: (خبز المَقيت مرتىْ يُكل)[3]. مرتىْ: أى: مرتين، فخبز البخيل يؤكل مرتين؛ لأنه ليس من المنتظر أن يجود بغيره مرة أخرى.

* * * *

* صورة الفقير فى الأمثال الأندلسية:

كان يوجد فى المجتمع الأندلسى كذلك الفقراء الذين يعيشون حياة الحرمان والفاقة، ويعانون شظف العيش وقلة القوت، وكان للفقير صورة خاصة فى نظر الأندلسيين، وقد عبرت الأمثال الأندلسية بوضوح شديد عن نظرة الأندلسيين إلى الفقر والفقراء، حيث كانوا يرون أن من نفد ماله جدير بأن يُشيَّع إلى قبره[4]، فقالوا: (من صفت قطاعُ فشيَّاعُ)[5]، لأنهم يرون أن الموت أفضل له من حياة الذل والفاقة، والجوع والحرمان، كما يرون أن الفقير عاجز محروم

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٥٥٥، ص ٣٤٠.

(٢) السابق، المثل رقم ٥٥٤، ص ٣٤٠. "أجدّتى" بمعنى: يا جدّتى، فالهمزة فى لهجة الأندلسيين والمغاربة تقوم مقام أداة النداء "يا". انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) السابق، المثل رقم ٣٨٩، ص ٣٢٧. والمَقيت هنا بمعنى: البخيل والشحيح. عن Voc و Alc. انظر: دوزى، مادة (مقت): تكملة المعاجم العربية، ١٠ / ٩١. ولفظ "مرتىْ" أى: مرتين، ومن عادة الأندلسيين إسقاط النون الأخيرة من المثنى، وكذلك إسقاط النون من حرف الاستفهام "أين" حيث ينطقونها "أى". انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، ص ٢٦٣، حاشية رقم (٣)، وسيأتى معنا فى بعض الأمثال ما يؤكد هذه القواعد الصوتية.

(٤) السابق، ص ٢٦٧.

(٥) السابق، المثل رقم ٦٧٦، ص ٣٤٩. و"قَطّاع" جمع "قَطّاعة": قطعة من النقود، وهى فى لهجة أهل الأندلس تعبر عن العملة التى كان يستخدمها الأندلسيون فى تعاملاتهم، وهى تعنى: الدينار. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٨ / ٣١٩-٣٢١.

حتى من صفة المروءة، فقالوا فى أمثالهم: (الزَّلْط مالوا مروَّة)[1]، وهذا شىء طبيعى لأن الفقير لا يملك شيئًا، والمروءة لاتكون - فى الغالب- إلا من قادرٍ، سواء القدرة البدنية أو القدرة المالية.

ويبدو أن كثيرًا من أهل غرناطة كانوا يعانون من الفقر المدقع والحرمان الشديد، فقد جاءت الأمثال كثيرة لتؤكد هذا الجانب من حياة الأندلسيين، فقالوا: (هم العشى والغدى ما يتم ابدى)[2]، وقالوا: (دنيا بلا أكل أخرى أحسن منها)[3]، فهذا المثل ينقل إلينا هذا الإحساس وذاك الشعور النفسى الخطير الذى تجيش به نفوس الفقراء الذين لا يجدون ما يسدون به رمقهم ويحفظ عليهم حياتهم وكرامتهم، فيرون أن من لا يجد ما يأكل فى هذه الحياة الدنيا، فالموت أو الحياة الآخرة أو الأخرى أفضل له، وصورة الفقير الذى لا يجد ما يقص به شعره قبل العيد من الصور المعبرة عن هذا البؤس الذى يحياه الفقير، فقالوا فى أمثالهم: (أقل-أى: قِيل- للمحروم اتقصص، قال: بعد العيد أرخص)[4]، وكان الفقراء لا يملكون شيئًا من المال، ولو درهم واحد يشترون به ما يسد رمقهم، وقد عبروا عن هذه الحالة البائسة فى قولهم: (جمل بدرهم واين الدرهم)[5]، كما عبروا صراحة عن الجوع الملازم لهم، الذى يفتك بمعظمهم ويودى بحياة الكثيرين منهم بقولهم: (وآش كلنا حتى نشربُ عليه)[6].

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٥٣، ص ٣٠٩. والزَّلْط فى لهجة الأندلسيين والمغاربة تعنى: الفقير أو المفلس، ففى لغتهم: زَلَطْ: أفلس، ومنه زَلْطَانْ: مفلس، جمع زَلْطَانِينْ. ويقولون أيضًا: مَزْلُوطْ و مَزْلُوطَ: مفلس ومفلسة. انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المَغرب، ص ٢٠٩. زلْط: فقر، انزلط: افتقر، زُلَيْط: مسكين-بائس، مزلوط: فقير. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٥ / ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) السابق، المثل رقم ٧٧٦، ص ٣٥٧. وعن ارتفاع مستوى المعيشة، وبخاصة فى المرحلة الأخيرة من حياة الأندلس الإسلامية، وبخاصة فى غرناطة، بسبب اكتظاظ المدينة بالسكان، وتوالى الهجرة عليها كلما سقطت مدينة فى أيدى النصارى، حتى ضاق الرحب بأهله. انظر: د. محمد كمال شبانة: "الحياة الاقتصادية بالأندلس خلال القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى"- مجلة البحث العلمى- العدد ٨- السنة ٣، ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) السابق، المثل رقم ٤٠٣، ص ٣٢٨.

(٤) السابق، المثل رقم ٢٣٧، ص ٣١٥. والفعل "أقل" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة هو الفعل المبنى للمجهول "قيل".

(٥) السابق، المثل رقم ٣٦٦، ص ٣٢٥.

(٦) السابق، المثل رقم ٧٨، ص ٣٠٣.

وتواصلت الأمثال لتكمل لنا صورة الفقراء فى المجتمع الأندلسى، فرسمت لنا صورة ذلك الفقير الذى يجد الشر فى كل خطوة يخطوها، نظرًا لبؤسه وضعفه البدنى والمادى، وقد عبرت الأمثال عن ذلك فقالوا: (أى مَ يمشى المحروم بُقَيْلة فحص يجاد)[1]، وكانوا يرون أن الموت أفضل للفقير من حياة الفقر والذل والحرمان والجوع، فقالوا: (من افتقر اتخلَّص)[2]، وبالطبع فإن هذا لا يدل على كراهية الأندلسيين للفقراء -كما قد يتبادر إلى الذهن- بل يدل على كراهيتهم للفقر وما يقترن به من عجز وذل وحرمان، والدليل على أنهم لا يكرهون الفقراء، بل يكرهون الفقر، كثرة الصدقات التى يبذلونها للأيتام والفقراء كما ذكرنا آنفًا فى هذا البحث.

* * * *

* الرقيق فى الأمثال الأندلسية:

لقد عرف المجتمع الأندلسى نوعين من الرقيق؛ الأول: الصقالبة، والثانى: السودان، ولكن الأمثال لا تتحدث إلا عن السودان، أصحاب البشرة السوداء، الذين كانوا يشكلون عنصرًا لا بأس به فى المجتمع الأندلسى، وكان وضعهم الاجتماعى أقل كثيرًا من بقية عناصر المجتمع، فهم عبيد سود يقومون بالخدمة والأعمال لساداتهم[3]، ويوجد فى كل منزل من منازل الأندلسيين الكثير منهم، ومن المعلوم تدنى مستواهم المعيشى وحاجتهم دائمًا إلى شىء من المال، وبالتالى فإن عوز العبد وحاجته الدائمة لا تتيح له فرصة لكى يعطى غيره شيئًا، بل إنه

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٢٥٤، ص ٣١٧. "أىْ مَ" بمعنى "أيْنَمَا" ولكن حذفت نون اسم الاستفهام "أين" على عادة الأندلسيين والمغاربة، وحذفت الألف الأخيرة من "ما"، ومعنى المثل: أينما يمشى الفقير يجد العشب السام، والفحص فى لهجة أهل الأندلس بمعنى: الوادى، والبقلة أو البُقيلة: العشب السام. انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، ص ٢٦٨، حاشية رقم (٢)، والمعنى اللغوى للمحروم يبين لنا ما يقصده المثل بصورة أوضح؛ حيث إن المحروم: هو الممنوع عن الخير، ومن لا ينمى له مالٌ، أو هو الشقى الذى لا يصيب خيرًا من وجه يتوجه إليه. انظر: الفيروزآبادى: القاموس المحيط -الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ٤ / ٩٣. المعجم الوسيط، مادة "حرم"، ص ١٧٦.

(٢) السابق، المثل رقم ٦٨٧، ص ٣٥٠.

(٣) انظر: عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٨٤. المقرى: نفح الطيب، ٣ / ٣٢٣.

يتشبث بما معه وبما يحصل عليه بكل ما أوتى من قوة، والذى يستطيع أن يعطى هو مولاه فقط، فهو الذى يملك القدرة المالية لمثل هذا، وقد عبر المثل عن هذه الصورة فقيل: (المولى يعطى والعبد يشد استه)[1].

وقد تحدثت الأمثال الأندلسية عن النوع الأسود من هؤلاء العبيد، وبخاصة عن رجال الزنج وما عرفوا به من القدرة على الكد والخدمة، كما صورت هذه الأمثال السياسة التى يجب أن يتبعها السادة مع هؤلاء السود، وهى سياسة ضربهم بالسياط، وعدم رفع السوط عنهم أدبًا لهم، وأكدت أن هذا العبد الأسود إن لم يضرب فلن يجنى منه سيده منفعة، ولن يأخذ منه عملاً، ولن يُحَصِّل منه خدمة، ومن هنا فقد شبهوا عبدًا أسود بلا سوط كالجامع بلا حصير، لن يستطيع المصلون أن يؤدوا فيه شعائرهم، وقد عبر الأندلسيون عن هذه الصورة فى أمثالهم، فقالوا: (أسود بلا سياط بحال جامع بلا حصور)[2].

وكانت نظرة الأندلسيين لهؤلاء السود نظرة استخفاف واحتقار، وقد عبروا عن سخريتهم منهم فى قولهم: (سود زَنتْ معزَ فست)[3]، فالمثل يصور أن هذه الجريمة الشنعاء، وهى جريمة الزنا، إذا وقعت من سوداء، فإنها لا تمثل خطورة، لأن هذه السوداء التى فعلت ذلك لا قيمة لها فى المجتمع، ومتوقع منها ومن أمثالها مثل هذه الدنايا وأكثر، ولتصوير الاستخفاف بهؤلاء والتهوين من شأنهم قالوا: (آش أسود إذا أقل-أى: قِيل- سيدى أحمد)[4]، حيث كان هؤلاء السود لا يحملون أسماء الأحرار، وإنما يؤمرون ويُخْتَار لكل واحد منهم اسمٌ من أسماء العبيد كما ذكر المثل[5].

---

(١) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ١٠٢، ص ٤٩.

(٢) د. الأهوانى: أمثال ابن عاصم، المثل رقم ٢٣٥، ص ٣١٥. "حصور": بمعنى: حصير، أو هى "حُصُر" جمع حصيرة، فأشبعت الضمة الثانية على عادة الأندلسيين والمغاربة فى نقل أصوات اللين القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) لتصبح أصوات لين طويلة (الألف والياء والواو). انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ٩٤-٩٥.

(٣) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٤٣٥، ص ٣٣١.

(٤) السابق، المثل رقم ٧٢، ص ٣٠٣. والفعل "أقل" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة هى الفعل المبنى للمجهول: قيل.

(٥) د. محمد محمود إدريس: الحياة الاجتماعية لطبقة العامة، ص ٢٩.

وكان الأصل فى هؤلاء السود، أو ما اعتادوا عليه، أن يسيروا حفاة الأقدام لا يلبسون خُفًّا، ومن فعل عكس ذلك منهم، ولبس خُفًّا فإنه كان يلفت الأنظار إليه؛ لأنه فعل شيئًا مخالفًا للتقاليد التى اعتادها الأندلسيون فيما يتعلق بهؤلاء السود، فقالوا فى أمثالهم: (سود باخفاف من الخلاف)[1]، وقد أشارت الأمثال كذلك إلى أن هؤلاء السود كانوا مصدر فزع لمن يصحبهم من أهل الترف، وقد عبر الأندلسيون عن خوفهم من منظرهم الأسود، وبخاصة إذا صحب هذا السواد فى البشرة بريق العينين وبياض الأسنان، فيكون المنظر حينئذ أشد فزعًا، فقالوا فى أمثالهم: (صحبت الأسَيْوَد يشجِّعنى برَّق عينُ وفزَّعنى)[2]، كما كان السادة يعانون من جهل هؤلاء السود، وأحيانًا من غبائهم، ووصل الأمر إلى أن أصبحت أمنية الأثرياء العثور على الخادم الأمين الكيس الذكى، وقد عبروا عن ذلك فى أمثالهم، فقالوا: (أنت مع المميز فى راحة)[3].

وكان الأثرياء حريصين على التركيز فى استخدام هؤلاء السود للخدمة فقط، نظرًا لتدنى مستواهم الخلقى، فضلاً عن جهلهم وغبائهم أحيانًا كما أشرنا، ولذلك تواصى الأندلسيون فيما بينهم بعدم الاختلاط بهؤلاء العبيد وعدم اتخاذهم ندماء فى مجالسهم الخاصة، فجاء فى المثل: (الخديم لا يكون نديم)[4]، ورغم ذلك فقد كان الكثيرون من هؤلاء العبيد، وبخاصة الزنوج، يحسنون الطرب ويتقنون النفخ فى البوق لحبهم الشديد للموسيقى، وارتبط النفخ فى البوق بوجودهم، وقد عبر الأندلسيون عن ذلك فى أمثالهم، فقالوا: (إذا رأيت الزنج أبشر بالبواق)[5].

ولا شك أن هؤلاء السود كانوا يتمنون الخلاص من هذه العبودية وتلك المذلة، ويطمح الواحد منهم إلى منزلة أرقى مما هو عليها، وقد عبرت أمثالهم

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٤٣٤، ص ٣٣١.

(٢) السابق، المثل رقم ٤٧١، ص ٣٣٤.

(٣) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ١٢٧، ص ٥١، و "المميز" هو الذكى الفطن.

(٤) أمثال الزجّالى، السابق، المثل رقم ١٠٩، ص ٥٠.

(٥) أمثال الزجّالى، السابق، المثل رقم ١٦، ص ٤٢.

عن هذه الهواجس التى يحدثون بها أنفسهم، أو يتحدثون بها بين بعضهم البعض، فقالوا: (أقل-أى: قيل- للأسود إيش كت تعمل لو كنت سلطان، قال ناخد ألف مثقال ونهرب)[١].

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على أن هذه الصورة لا تمثل الجانب الوحيد فى النظر لهؤلاء السود، ولكنها تمثل أحد هذه الجوانب، ولا شك أن هناك نظرة أخرى لهؤلاء العبيد فى مقابل ما يقومون به من أعمال وخدمات لا يستطيعها غيرهم، لأنها تتطلب جهدًا وكدًّا وقوة تكون -فى أغلب الأحيان- فوق الطاقة. وقد أكدت لنا المصادر التاريخية هذه النظرة المتدنية تجاه الرقيق الأسود على وجه الخصوص، وقد وصفوا بالعديد من الأوصاف التى تقلل من شأنهم[٢].

* * * *

* صورة اليهود فى الأندلس من خلال الأمثال:

من المعروف فى تاريخ الأندلس أن اليهود كانوا يمثلون جزءًا مهمًّا من طبقات المجتمع الأندلسى، وكان بعضهم يحتل مكانة كبيرة لدى حكام الأندلس المسلمين، وبرع بعضهم فى وظائف إدارية، والبعض الآخر فى علوم مختلفة كالطب، ونظرًا لوجود هذه الفئة واختلاطها بالمسلمين، فقد كثر الحديث عنها فى أمثال العامة فى الأندلس، حيث تحدثت عن بعض الصفات المتأصلة فى اليهود، وما عرف عنهم من البخل والحرص على الحياة، وعلى جمع الأموال، فقال الأندلسيون فى أمثالهم: (إذا رأيت اليهودى يضم السلعة أدرى أنه يشتريها)[٣]، وعن حرصهم على اكتساب الأموال من أى طريق، ولو بالبحث فى الدفاتر القديمة لمعرفة ما له من أموال عند الناس عن طريق المداينة، وكان اليهود مشهورين بالقروض الربوية، ومن هنا قال المثل: (إذا أفلس اليهودى يفتش دفاتر والده)[٤].

---

(١) أمثال الزجّالى، السابق، المثل رقم ٦٥، ص ٤٦.

(٢) انظر: ابن بسام: الذخيرة، القسم الثالث، ج ٢، ص ٦١٥. عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٨٤. المقرى: نفح الطيب، ٣ / ٣٢٣.

(٣) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ٣١، ص ٤٣.

(٤) أمثال الزجّالى، السابق، المثل رقم ٥٧، ص ٤٥.

كما أشارت الأمثال كذلك إلى حقائق تاريخية معروفة عن اليهود، وعن تحريفهم لدين الله، وأن الدين عندهم أهون من كل شيء، فهو يضحى بكل شيء، حتى بالدين، فى سبيل الوصول إلى ما يريد، فلا عهد له، ولا أمانة عنده، ولا يحفظ يمينًا أو يبر بها، ومن خلال معاشرة المسلمين الأندلسيين لهؤلاء اليهود ومعرفتهم عن كثب، فقد عبروا فى أمثالهم عن هذه الخصال الذميمة عند اليهود، فقالوا: (أرق من دين يهودى)[1]، ونظرًا لهذا الانخلاع من تعاليم الدين، والتحريف لمبادئه، كان من الطبيعى أن يحل بهم غضب الله ولعنته سبحانه، وأن يظلوا طوال حياتهم فى غضب الله ولعنته، وأن يصحبهم هذا الغضب وتلك اللعنة أينما حلُّوا، ومن هنا قال المثل الأندلسى: (بحال يهودى فى غضب الله)[2]، وكان من المنطقى أن من كانت هذه حاله فى الحياة الدنيا، فلا شك أن مصيره فى الآخرة أشد وأنكى، ومن هنا فقد سخرت الأمثال الأندلسية من بعض عادات اليهود فى الجنائز والمدافن، وجعلتها مصدر فكاهة، فقالوا عن جنائز اليهود: (جنيزت يهودى الجرى والسكوت)[3]، كما نقلت إلينا الأمثال تصور المسلمين فى الأندلس لمصير اليهودى فى قبره، وبناءً على ما لديهم من خلفية دينية وثقافية عن ضعف الوازع الدينى عند اليهودى وسوء معاملاته، وعدم حفظه للعهد والأمانة، فقد تصوروا أن قبره يكون ضيِّقًا؛ جزاءً له على أعماله السيئة وانحرافه عن دينه، فقالوا فى أمثالهم: (قبر يهودى شط ضيِّق)[4].

كما ذكرت الأمثال ما عرف عن اليهود من أنهم لا يقومون ولا يقدمون خدمة أو معروفًا إلا مقابل شيء من المال، وقد عبر الأندلسيون عن ذلك فى

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٣، ص ٢٩٨.

(٢) السابق، المثل رقم ٢٩٦، ص ٣٢٠. كلمة "بحال" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة تعنى: مثل أو شبيه، وقد سبقت الإشارة إليها.

(٣) السابق، المثل رقم ٣٦٤، ص ٣٢٥. وتظهر فى هذا المثل ظاهرة الإمالة المعتادة فى لهجة الأندلسيين والمغاربة، وقد سبق أن أشرنا إليها، فكلمة "جنيزت" هى "جِنازة". انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ٩٢-٩٣.

(٤) السابق، المثل رقم ٥٧١، ص ٣٤١.

أمثالهم، فقالوا: (حاجة بقطاع يهودى يقضيها)[1]، كما يبدو أيضًا من خلال الأمثال أن بعض المسلمين الذين كانوا لا يجدون عملاً ليحصلوا منه على ما يقتاتون به، كانوا يضطرون إلى العمل والخدمة فى بعض معابد اليهود فى الأندلس، ولا شك أن هذا كان من الأمور المستنكرة التى يرفضها المجتمع الأندلسى المسلم، حيث كانت تقاليد المجتمع المسلم تنعى على المسلمين التوجه إلى مثل هذه الأماكن للعمل أو الخدمة فيها، وقد عبر الأندلسيون عن ذلك فى أمثالهم، فقالوا: (خادم شِنوغَ شاقى ملعون)[2].

* * * *

*** الأمراء والعمال-جانب مجهول من جوانب علاقتهم بالرعية:**

من المعلوم أن طبقة العامة من أكثر الطبقات الاجتماعية معاناة من تجاوزات رجال السلطة، حيث كانوا يعانون من غطرسة بعض الأمراء الذين كانوا يستغلون مناصبهم وسلطاتهم للتحكم فى رقاب العباد وإذلال الرعية، كما كانت هذه الطبقة أيضًا تعانى من بعض العمال كجامع الضرائب أو صاحب الشرطة الذين كانوا فى أغلب الأحيان يثقلون كاهل الرعية بالضرائب والتعرض لهم فى الطرقات، وقد عبرت الأمثال الأندلسية عن بعض هذه الجوانب المجهولة فى العلاقة بين الرعية والأمراء والعمال لم تفصح عنها المصادر التقليدية، ولم تظهرها بصورة كافية، فقد كشفت لنا الأمثال عن جانب من جوانب علاقة الرعية بالأمراء، فسخرت من كثرة الأمراء غير الأكْفَاء الذين لا يتمتعون بالحنكة السياسية ولا الخبرة العسكرية، كما بينت لنا أن هذا المنصب-منصب الأمير- أصبح من الهوان بحيث يستطيع كل غير ذى كفاءة أن يصل إليه، وقد عبر

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٣٦٧، ص ٣٢٦، كلمة "قَطَاع" تعنى: الدينار، وقد سبق التعريف بها.

(٢) السابق، المثل رقم ٣٩٦، ص ٣٢٨. كلمة "شنوغ" هى الرسم العربى للكلمة الإسبانية Sinagoga وهى تعنى: معبد اليهود فى اللغة الإسبانية. انظر: د. الأهوانى: أمثال العامة فى الأندلس، ص ٢٦٥، حاشية رقم ٤. كلمة "شاقى" أى: شَقِى، وظاهرة إشباع أصوات اللين القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) لتصبح أصوات لين طويلة، ظاهرة معتادة فى اللهجة الأندلسية والمغربية. انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ٩٤-٩٥.

الأندلسيون عن هذا فى أمثالهم، فقالوا: (أنا أمير وأنت أمير فمن يقود الحمير)[1]، فالمثل فى صيغته هذه دعوة للثورة على هذا الوضع المتردى، فقد شبه المثل الرعية بالحمير إذا لم يرفضوا هذا الوضع ويسعوا لتصحيحه وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، فهم يرون أن استكانتهم ورضوخهم لسياسة الأمر الواقع يجعلهم كالحمير التى تفعل ما تؤمر به، وتنفذ أمر قائدها دون تفكير، فهى لا تستطيع الاعتراض أو الرفض، وقد أكدوا وجهة النظر هذه فى قولهم: (واحد أمير وآخر يقود الحمير)[2].

وقد ذكرت لنا الأمثال أيضًا جانبًا آخر من جوانب هذه العلاقة، وهو بُعْد الشقة بين الأمير والرعية، فهذا الأمير يقيم فى قصره بعيدًا عن الرعية، لا يفكر فى النزول إليهم والاختلاط بهم والاستماع إلى شكواهم ومعرفة احتياجاتهم، فهو لا يشعر بهمومهم، يعيش فى رفاهية ونعمة، وهم يقاسون شظف العيش وقصر ذات اليد، وقد عبر الأندلسيون عن هذه العلاقة السيئة بينهم وبين الأمير فى قولهم: (إذا سمعت الأمير يغنى أدرى أن همومى تبكى)[3].

كذلك نقلت لنا الأمثال الأندلسية جانبًا من جوانب علاقة الرعية ببعض العمال، مثل حاكم القرية، فصورت عجرفته واحتقاره للرعية وعدم انتهاجه سياسة العدل بينهم، فقال المثل: (أعز من مُختار فى قرية يقل قوم من أى يجلس الكلب)[4]، كما تحدثت عن صاحب الضرائب أو المكلف بجمع الضرائب من الرعية، فهو لا يراعى وضعهم المتردى، فيثقل كاهلهم بالضريبة، وقد أطلقوا عليها فى المثل مصطلح "الجزية" تعبيرًا عن استيائهم من هذا الوضع، ومن الطريقة القسرية التى تجمع بها هذه الضرائب حتى أصبحوا كأهل الذمة فى أخذ الجزية منهم، فقالوا فى المثل: (أذل من قط (ابن أحمد) الذى

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٢٦١، ص ٣١٧.

(٢) السابق، المثل رقم ٧٩١، ص ٣٥٨.

(٣) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ٣٢، ص ٤٤.

(٤) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١١، ص ٢٩٧، و"المختار" فى اصطلاح الأندلسيين هو حاكم القرية.

يغرم الجزية للفرين- أى: للفئران)[1]، وتحدثت عن صاحب الشرطة وسوء خلقه وطغيانه، وما يعانيه الرعية من قسوته وجبروته، فقالوا: (بحال شرطى ياكل معك ويكسر الصحفا فى راسك)[2].

يضاف إلى ذلك كله الصورة التى رسمتها الأمثال عن غياب العدالة التى لا يحرص عليها الشرطى ولا تجد من يرعاها، وبالتالى فإن السارق إذا ضُرِبَ فإنه لا يُضرب على اقترافه لجريمة السرقة، وإنما يُضرب على قلة خبرته ودرايته، أو لأنه لم ينجح فى الإفلات من الوقوع فى أيدى رجال الشرطة، فقال المثل: (آش يضرب السارق على سرقتُ إلّى على قلّت دريّةُ)[3]، وبالتالى فإن الحق فى مثل هذه الظروف السيئة لا مكان له، بل لا قيمة له، ولذلك فلم يعد هناك من يقول الحق، ولا يقال هذا الحق إلا مختلطًا بشىء من الباطل، فجاء فى المثل: (آش يقال الحق إلّى بشواى من باطل)[4]، ونظرًا لتردى السلطة التنفيذية وإهمالها للعدل بين الرعية، فإن الحق لم يعد منجاة لصاحبه من الخطر، بل إن هذا الحق ربما كان سببًا فى سجن صاحبه وتعرضه للعقوبة، وقد سخر الأندلسيون من هذا الذى يقول الحق، ولا يخرج قائل الحق - فى تصورهم - عن اثنين؛ إما صبى لا يعقل أو لم يبلغ سن الرشد حتى يفهم الواقع الذى يعيش فيه، وإما مجنون لا يدرى ما يدور حوله فى هذا المجتمع، فقالوا فى أمثالهم: (آش يقول الحق إلّى الصبى أو أحمق)[5].

هذه الأمثال لا تعطينا الصورة العامة للعلاقة بين الأمراء والعمال والرعية، فهذه العلاقة لم تكن دائمًا بهذه القتامة وهذا التوتر، ولكنها على الأقل تكشف

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٣، ص ٢٩٧. ولعل "ابن أحمد" هذا واحدٌ من العمال أو المشرفين الذين كانوا يتولون وظيفة جمع المجابى أو الضرائب من أهل الأندلس، وهى وظيفة معروفة عندهم فى النظام الإدارى الأندلسى.

(٢) السابق، المثل رقم ٢٨٥، ص ٣١٩.

(٣) السابق، المثل رقم ١١٠، ص ٣٠٦.

(٤) السابق، المثل رقم ١٣٠، ص ٣٠٧.

(٥) السابق، المثل رقم ١٠٧، ص ٣٠٥.

لنا عن أحد الجوانب المجهولة فى هذه العلاقة والتى لم تفصح عنها المصادر التقليدية ولم تظهرها بصورة كافية كما أشرنا.

* * * *

*** البربر فى الأمثال الأندلسية:**

عبرت الأمثال الأندلسية عن الخلفية التاريخية المعروفة للعلاقة المتوترة والعدائية بين الأندلسيين والبربر، ولسنا فى حاجة إلى تأكيد علاقة التربص والحذر بين الطرفين، فهى أشهر من هذا، وأشهر الأحداث التاريخية التى تدل على هذه العلاقة المتوترة فى تاريخ الأندلس -على وجه الخصوص- هى كثرة الفتن البربرية التى يسميها ابن الخطيب النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة[1]، وقد أكد المقَّرى هذه الكراهية بين الجانبين وما كان بينهما من عداوة وبغضاء، وكان للطبيعة التى جُبِل عليها البربر من غلظة وفظاظة وجفاء وطباع خارجة عن الأوضاع أثر كبير فى ازدياد النفور والحذر منهم، فأصبح الأندلسيون يخشون حتى من مجاورتهم، وعندما علم البربر بعداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم، فلا تجد أندلسيًّا إلا مُبْغِضًا بربريًّا والعكس[2].

وقد أكدت الأمثال الأندلسية هذه النفرة، وبينت كيف كان الأندلسيون يحتقرون البربر ويحتاطون منهم، حتى وصل الأمر إلى أن استعمال كلمة البربر والبربرى تحمل عندهم معنى التحقير، فسخروا منهم وتجنبوهم، وقد عبروا عن هذه النفسية الكارهة للبربر فى أمثالهم، فقالوا: (البربرى والفار لا تعلموا باب الدار)[3]، وازداد احتقار الأندلسيين للبربر فاتهموهم بالحماقة، وربطوا بينهم وبين هذه الخصلة المرذولة، فقالوا: (إذا رأيت حَلاوى أدرى أنه سَلاوى)[4]، كما عبروا عن بخل البربر وطمعهم واستغلالهم لغيرهم، فقالوا: (عُطى

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٢٧.

(٢) المقرى: نفح الطيب، ١ / ٢٢٨.

(٣) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ١٧٥، ص ٥٤.

(٤) السابق: أمثال الزجّالى، المثل رقم ٢٠، ص ٤٢، و"الحلاوى" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة هو الأحمق، وسلاوى نسبة إلى مدينة سلا المغربية المشهورة.

للبربرى شبر طلب ذراع، عطيه ذراع طلب مَرِىّ فاش يتمتاع)[1]، وقد ازداد نفور الأندلسيين من كل ما يتعلق بالبربر أو يمت لهم بصلة حتى من الفقهاء البربر الذين اتهمهم الأندلسيون بأنهم يقولون ما لا يفعلون، وبالتالى فهم لا يؤتمنون على فتوى، ولا ترجى منهم نصيحة، ولا ينتظر منهم خير، ولا يؤخذ منهم دين، فقالوا عن الفقيه الدُّكَّالى: (الفقيه الدُّكَّالى إعمال بقولى ولا تعمل بأعمالى)[2].

ومن المعلومات المهمة التى كشفت لنا عنها الأمثال الأندلسية ما يتعلق ببعض الأعمال والمهن التى كان يحترفها البربر فى الأندلس، فذكر المثل أن عددًا من عامتهم عملوا باعة فى الأسواق، فكانوا يبيعون الفحم، قال المثل: (أسخف من عبُّو الفحَّام الذى يزين الفحم بالورد)[3].

وهكذا كشفت لنا الأمثال الأندلسية النقاب عن كثير من جوانب المجتمع الأندلسى، وما يموج به من عادات وتقاليد وأخلاق وصفات إيجابية كانت أم سلبية، وعلاقات مختلفة ومتنوعة، وظواهر متعددة، وقل أن نجد ذلك كله بهذه الاستفاضة فى مؤلف من المؤلفات التى وضعت للحياة الاجتماعية، ومن هنا تأتى أهمية الأمثال لإبراز كثير من الجوانب التى سكتت عنها المؤلفات التاريخية والاجتماعية التقليدية فى الميدان الأندلسى.

* * * *

*** الحياة الاقتصادية فى الأندلس من خلال الأمثال الأندلسية:**

لا شك أن للحياة الاقتصادية فى الأندلس نصيبًا لا بأس به من الأمثال الأندلسية التى وضعت أو ضُرِبت للتعبير عن هذا الجانب المهم من حياة الأندلسيين، فقد كان عامة الشعب يعبرون فى أمثالهم عن حياتهم ومصادر

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٥٢٤، ص ٣٣٨.

(٢) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٦٠، ص ٣٠٩، و "دُكَّالة" قبيلة بربرية مشهورة فى المغرب ينسب إليها كثيرون.

(٣) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٢، ص ٢٩٧، و "عبُّو" اسم بربرى كما يظهر من صيغته.

أرزاقهم وما يعانونه من شدة أو ما يحيون فيه من رخاء، أو ما يُفْرَض عليهم من ضرائب ومغارم، أو ما يمارسونه من حرف تتعلق بالحياة الاقتصادية فى الأندلس.

* **الأزمات الاقتصادية:**

لقد عبرت الأمثال الأندلسية عن عدد من الأزمات والابتلاءات الاقتصادية التى كانت تنزل بالأندلسيين ويعانون من جرائها ويلات كثيرة، ومن هذه الأزمات ما كان يصيبهم فى بعض السنوات من القحط والجوع، فيعانون منه شدة كبيرة وقاسية، حتى أنها صارت عندهم مضرب المثل، فقالوا: (أشط من عام الجوع)(١)، وأشط هنا فى لهجة الأندلسيين والمغاربة بمعنى: أطول.

وكان يتبع سنوات القحط والجوع أزمة شديدة فى المحاصيل الزراعية، وعلى رأسها "القمح"، حيث كان يمثل مادة الغذاء الرئيسة والمهمة عند الأندلسيين، حيث يعتمدون على الزراعة أكثر من اعتمادهم على أى فرع آخر من فروع الحياة الاقتصادية، كالصناعة والتجارة(٢)، فكانوا يفقدون هذا المحصول لفترات طويلة، أو يرتفع سعره بصورة باهظة، بحيث لا يتمكنون من شرائه، فيعانون من جراء ذلك ألم الجوع والحرمان، وقد عبروا عن غلاء القمح وصعوبة الحصول عليه بقولهم: (إذا غلا القمح آش لو حصاله)(٣)، أى أن القمح إذا ارتفع سعره، فإنهم يبحثون عن شىء آخر يقتاتون به كالشعير مثلاً، فإذا فرَّج الله عنهم هذه الأزمة، وتمكنوا من الحصول على القمح، ألقوا الشعير بعيدًا، أو

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٢٣، ص ٢٩٨. كلمة "أشط" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة بمعنى: أطول. انظر: دوزى: مادة "شط و شطط": تكملة المعاجم العربية، ٦ / ٣٠٦.

(2) Véase: Joaquín Vallvé Bermejo: "La agricultura en al-Andalus" ،Al-Qantara- Vol. III، (1982)، pp. 261-297.

(٣) السابق، المثل رقم ٥١، ص ٣٠١، وقد ورد هذا المثل عند أبى يحيى الزجّالى بصيغة: (إذا غلا القمح ما له حُصال). انظر: د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ٢٤، ص ٤٣. وعن القمح وما يمثله من أهمية فى حياة الأندلسيين انظر: د. إبراهيم القادرى بوتشيش: مباحث فى التاريخ الاجتماعى للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين - دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- ط١- ١٩٩٨م، ص ٢١١. د. محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس فى العصر الإسلامى (٥١٥-٦٨٦ هـ/ ١١٢١-١٢٨٧م) دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص ٢٥٩. د. محمد كمال شبانة: "الحياة الاقتصادية بالأندلس خلال القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى"، ص ١٤٠.

أطعموه لدوابهم، فقالوا معبرين عن ذلك: (إذا أصيب القمح أهرق الشعير)[1]، وأصيب هنا بمعنى: وُجِدَ أو تم الحصول عليه، ورغم ذلك فإنهم فى أحايين كثيرة لا يجدون هذا الشعير أو لا يتمكنون من الحصول عليه نظرًا لارتفاع سعره، وقد سخروا من هذه الحالة، فقالوا فى أمثالهم: (إذا رخص الشعير غلت الحمير)[2]، وقد ربطوا بين رخص الشعير وغلاء الحمير، لأنهم يستخدمون الشعير طعامًا لدوابهم فى حالات الرخاء ورخص الأسعار، والمثل فى نهاية الأمر فيه نوع من التهكم كما أشرنا.

وقد عبَّر الأندلسيون عن أن أزمة القمح التى كانت تنزل بهم كانت تتطلب منهم جهدًا كبيرًا ومضنيًا فى سبيل الحصول عليه، وأنه لا يمكن لمتواكل أو متكاسل أن يصيب أو يجد شيئًا منه، فقالوا: (القمح لا يجى بالرسالة)[3].

وكان يتبع أزمة القمح أزمة أخرى هى أزمة الحصول على الدقيق الذى هو مادة الغذاء المهمة كذلك عند الأندلسيين، والعامل المشترك فى كثير من المأكولات التى يصنعها الناس، فمنه يكون الخبز الذى يقتاتون عليه، فكانت تمر بهم فترات طويلة لا يتمكنون من الحصول عليه، فكانوا يبحثون عنه فى كل مكان وبكافة الوسائل، فإذا وجدوه لم يكن من السهل على كل فرد أن يحصل على نصيبه أو ما يريده منه، بل كان عليهم أن يقفوا فى طابور يعانون الزحام والمشقة، أو فى حلق للحصول عليه والفوز به، وقد عبروا فى أمثالهم عن هذه المأساة، فقالوا: (الدور والتحليق على الدقيق)[4]، أى أن العمل والاجتهاد دائمًا يكون فى طلب الخبز أو فى محاولة الحصول على مادته الأساسية، ألا وهو الدقيق.

كما كانت تصيبهم بعض الجوائح التى تدمر زراعاتهم ومحاصيلهم فى شهرى مارس وأبريل؛ ففى شهر مارس تكون الرياح الشديدة التى تعصف بالأشجار والنباتات والزراعات، وفى شهر إبريل تكون الأنواء والسيول والأمطار وغير ذلك

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٥٢، ص ٣٠١.
(٢) د. أحمد سالم ولد محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ٦٧، ص ٤٦.
(٣) د. أحمد سالم: السابق، المثل رقم ١٤٥، ص ٥٢.
(٤) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٩٤، ص ٣١٢.

من التقلبات الجـوية، فإذا زرعوا زرعًا أو غـرسوا غرسًا فى شهـر مارس ونجا من العواصف فى هذا الشـهر، تأتى الجوائح فتـدمره فى شهر أبريل، وقـد عبروا عن هذه الأزمة فى أمثالهم، فقالوا: (كـيكون ذا الغرس فى مرس كيجى أبريل يصيب بُكَيْر)[1]، وقالوا مـعبرين عن توالى هذه الجـوائح خلال شهـرى مارس وأبريل: (الريح مارس والجـوائح أبريل)[2]، وبعـد شهـر أبريل تبـدأ الأحوال الجـوية فى الاستقرار، وبالتالى تقل الجوائح، ويبدأ الأندلسيون فى تنفس الصعداء واستكمال مواسمهم الـزراعية فى اطمئنان وهدوء، وقد عبـروا عن هذا الارتياح النفسى فى أمثالهم، فقالوا: (إذا جاز أبريل اعمل فوق البحر السرير)[3].

وقد عانى الأندلسيون كثيـرًا من الآفات الزراعية التى تدمر المحاصيل وتأكل الحبوب ولا تبقى لهم شيئًا، وتأتى على الأخـضر واليابس من مصادر طعامهم، ومن هذه الآفـات - على وجه الخـصوص- الجـراد، ويبـدو أنه كان يشـغلهم وينغص عليهم حـياتهم بدرجة كـبيرة، لذلك كثـرت أمثالهم التى تذكر اسـمه وتتحـدث عنه، وكانت فئـة منهم تنظر إلى كثرة الجـراد على أنها نعمـة؛ لأنها تؤدى إلى رخص سعر القمح، فيتـمكنون من شرائه؛ لأن المحاصيل الزراعية إذا أصابتها آفة، اضطر أصحابها أو من يحـتكرونها إلى بيعها بأزهد الأثمان قبل أن يفقدوها كلهـا بسبب هذه الآفة، "ومصائب قوم عند قـوم فوائد"، لذلك قالوا فى أمثالهم معبرين عن العلاقة العكسيـة بين كثرة الجراد وانخفاض سعر القمح: (غـزر الجراد يرخص القـمح)[4]، وغـزر: أى كثـرة أو زيادة، وقالوا كـذلك: (جراد فى يدك أحسن من برطال يطير)[5].

---

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٦٠٦، ص ٣٤٤. كلمة "بُكَيْر": أى باكورة الزرع وأوائله. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ١ / ٤٠٩، حاشية رقم ٦٥٨.

(٢) د. أحمد سالم محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ١١٤، ص ٥٠.

(٣) د. أحمد سالم: السابق، المثل رقم ٦٠، ص ٤٦.

(٤) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٥٣٠، ص ٣٣٨. يوجد نوعـان من الجراد؛ جراد الأرض Langosta de la tierra، وجراد البحر Langosta de la mar، والنوعان فى الإسـبانية Plaga de langostas. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، ٢ / ١٧٩.

(٥) السابق، المثل رقم ٣٦١، ص ٣٢٥، و"برطال" فى لهجة الأندلسيين والمغـاربة تعنى: عصفور - ويقولونها أحيانًا: برطل. بَرْطل أو بَرطال من الإسبانيـة (Pardal) وهى فى الأندلس وفى مرّاكُش اليوم: بُرطـال،=

وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية معلومات كثيرة عن هذا الجراد وما يحدثه من ضرر بالمحاصيل الزراعية، لتؤكد لنا صدق ما أوردته الأمثال عن هذه الآفة وأضرارها البالغة، من ذلك ما ذكره ابن القطّان فى مواضع متفرقة من كتابه "نظم الجمان"، حيث قال عن حوادث سنة ٥٢٦ هـ: "وأكلت الجراد زرع قرطبة"(١). وقال عن حوادث سنة ٥٢٧هـ: "وأكلت الجراد زرع هذه السنة"(٢). وقال عن حوادث سنة ٥٢٨ هـ: "وأكلت الجراد ما كان على الأرض من زرع وكلأ"(٣). وقال عن حوادث سنة ٥٢٩هـ: "ومحت الجراد ما على الأرض من زرع وكلأ، وأُمِرَ الناس بالخروج إليها، فساقوا منها خمسة آلاف عدل وثلاثمائة وثلاثين عدلاً، وما غاب عن العيون أكثر، تركت فى الموضع الذى قُتلت فيه ولم تُحْمَل"(٤). وبذلك يتبين لنا مدى الضرر الذى كان يُلْحِقه الجراد بالمحاصيل الزراعية حتى أصبح يشغل فكر الناس والحكام فى الأندلس، وصار عندهم مضرب المثل، كما يتبين لنا أيضًا مدى أهمية وصدق المعلومات التى تقدمها لنا الأمثال عن جوانب كثيرة من حياة الأندلسيين، ولا غنى لنا عنها.

كما نملك شهادة مهمة ونادرة لولد صاحب الأمثال، وهو "أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطى" المتوفى سنة ٨٥٧هـ، حيث يصف لنا معاناة أهل غرناطة من هذه الآفة الزراعية الخطيرة وما تنزله بهم من أضرار بالغة، فيقول:

= وتُجْمَع على بَراطيل: عصفور. انظر: دوزى: تكملة المعاجم العربية، مادة "برطل"، ١ / ٢٩٤. وفى لهجة المغاربة "ل بْرطَال": يطلقونه على طائر يسكن السقوف التى تعلو باب الدار، فهو منسوب إليها، وبرطال كلمة إسبانية معناها: سقيفة الباب. انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب، ص ١٥٧. د. عبد العزيز الأهوانى: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة- مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة- المجلد الثالث، ١٩٥٧م، ص ٢١، وقد تردد اسم هذا الطائر فى كثير من الأمثال الأندلسية الأخرى عند ابن عاصم، فقالوا: (برطل فى فمك أحسن من مِىّ فى كمك)، المثل رقم ٣٣٣، ص ٣٢١، وقالوا: (كل ما هو باطل يعشش فيه البراطيل)، المثل رقم ٥٨٦، ص ٣٤٢. وقالوا: (كل برطل غلى سُبُولَه)، المثل رقم ٥٨٨، ص ٣٤٣.

(١) انظر: ابن القطان: نظم الجمان -تحقيق: د. محمود على مكى - دار الغرب الإسلامى-بيروت- ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٢.

"وفى سنة ٨٥٢ هـ أيضًا انتشر الجراد فى شرقى مملكة غرناطة بصورة تعجز القدرة البشرية عن مقاومته، وكان انتشاره فى وادى آش وبسطة وبيرة ووادى المنصورة وأشكر، وأخذ يتناسل ويتكاثر ويهدد بانتشار المجاعة، فأخذ أهل أشكر وبسطة فى مقاومته، فحفروا له أخاديد، وفتحوا عليه السواقى، وداسوه بالأرجل، وبلغ ما داسوه فى بسطة وحدها أربعة آلاف حمل، استخدموه بعد ذلك سمادًا للأرض، وكانوا يتغالون فى أثمانه. . . . "[١].

ومن هذه الآفات كذلك "السوس"، ولا شك أنه آفة خطيرة تقضى على المحاصيل الزراعية المخزونة، فتحولها إلى هباء لا قيمة له، وفى هذا ما فيه من الضرر بأقوات الناس ومصادر طعامهم، فقالوا: (بحال سوس يكل واش يشروب)[٢].

* * * *

* الضرائب:

لاشك أن هناك مقدارًا معينًا من الضرائب كان يفرضه الحاكم على الأندلسيين للإصلاحات العامة أو لمواجهة الأزمات التى قد تعترض الحكومة الأندلسية، ولا يستطيع بيت المال وحده أن يوفى بها، وهذا لا بأس به، ولا يعترض عليه أحد، لكن يبدو أنه كانت تحدث بعض التجاوزات ممن يتولون هذا الأمر من الموظفين المختصين بجمع المجابى والضرائب من أهل الأندلس، فيجحفون بالناس ويثقلون كاهلهم بمغارم لا طاقة لهم بها، أو يفرضون عليهم ما لم يقره الشرع، من ذلك ما يعبر به الأندلسيون عن سخطهم على بعض الضرائب التى تفرض عليهم وتجحف بهم حتى أنهم أطلقوا عليها اسم "الجزية"، وفى هذا ما فيه من السخرية والاستهزاء بمن فرضها عليهم، فقالوا

(١) ابن عاصم: جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله وقضى- تحقيق: د. صلاح جرار- دار البشير للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ١ / ٢٧.

(٢) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٣٠٥، ص ٣٢٠، ولفظ "بحال" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة تعنى: شبيه أو مثل.

فى أمثالهم: (أذل من قط (ابن أحمد) الذى يغرم الجزية للفرين-أى: للفئران)[1]، ولعل "ابن أحمد" هذا واحدٌ من العمال أو المشرفين الذين يتولون وظيفة جمع المجابى أو الضرائب من أهل الأندلس، وهى وظيفة معروفة عندهم فى النظام الإدارى الأندلسى.

* * * *

* التجارة:

التجارة أحد الأعمدة الأساسية التى تقوم عليها الحياة الاقتصادية، ولا شك أنها تستلزم شيئًا من رأس المال، ونوعًا من الحنكة والدربة والكياسة والفطنة والأمانة والاجتهاد، وقد عرف كثير من الأندلسيين هذه الحرفة ومارسوها، وكانوا يدركون أنه لا بد من الاجتهاد فى التجارة ليحصل التاجر على ما يريد، ويربح ما يصبو إليه، وقد عبروا فى أمثالهم عن حبهم للتجارة؛ رغبة فى المزيد من المال، فقالوا: (الدراهم تجلب الدرهم)[2].

كما تحدثت الأمثال عن حالة التجار الذين قد يفقدون رءوس أموالهم، وليس لهم ما يعوضهم، عندئذٍ يقعدون عن التجارة ولا يخرجون إليها؛ نظرًا لما نزل بهم من خسارة فادحة، وقد عبروا فى أمثالهم عن ذلك، فقالوا: (تاجر بلا قَطَاع قليل الخروج)[3]، أى لا بد من وجود رأس المال لممارسة هذه الحرفة المهمة، ومواصلة العمل فيها، وكانوا يدركون أن التجارة ليست مكسبًا فقط، بل هى مكسب وخسارة فى الوقت نفسه، وعلى التاجر أن يتوقع هذا أوذاك، فقالوا: (التجارَ مضمونة، اكن اش تربح تخسر)[4]، أى كما تربح من الممكن أن تخسر أيضًا.

وكان الأندلسيون يدركون أيضًا أهمية الكياسة والفطنة والاجتهاد لممارسة

---

(١) انظر: د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ٣، ص ٢٩٧.
(٢) السابق، المثل رقم ١٦٣، ص ٣١٠.
(٣) السابق، المثل رقم ٣٣٩، ص ٣٢٣، و"قطاع" فى لهجة الأندلسيين والمغاربة تعنى: الدينار.
(٤) السابق، المثل رقم ١٧٤، ص ٣١٠.

التجارة، حتى لا يتعرض التاجر لمن يخدعه أو يسرقه، فقالوا: (الكيس فالسوم وغير ذى سرق)[1]، أى أن الكياسة والاجتهاد فى المساومة فى التجارة، ويبدو أن التاجر المجتهد كان يعيش فى راحة ورفاهية، فاقترنت عندهم الراحة بالتجارة، وبالعكس-عندهم- فإن الذى لا يعمل بالتجارة لا يجد الراحة، وقد عبروا عن هذه العلاقة، فقالوا: (من لا ماعُ راحَ آش لا ماعُ تجارَا)[2]. كما تحدثت الأمثال عن المخادعة والخيانة التى قد تحدث بين التاجر وصاحبه التاجر، فيأكل من رأس المال شيئًا ليس من حقه دون أن يخبر صاحبه بذلك، رغم أن صاحبه الآخر كان يحسن به الظن، وقد عبر الأندلسيون عن هذه العلاقة السلبية فى أمثالهم، فقالوا: (ظنى متجر وهُ فالرسميل ينقر)[3]، ومعنى المثل: أنه كان يظن أن صاحبه تاجرٌ أمين، ولكنه اكتشف أنه يسرق فى رأس المال المشترك بينهما، كما كانوا يرون أن الثراء الذى يظهر فجأة على بعض الناس أو بعض التجار يكون بسبب نهبهم لأموال الناس واستغلالهم لغيرهم، وقد عبروا عن هذا المعنى فى أمثالهم، فقالوا: (إذا رأيت حنش يلمع ادرى أن آخر بلع)[4]، وقد شبهوا هذا المستغل المتسلق على حساب غيره بالحنش؛ لأن الحنش من صفاته الملازمة له الخداع والمراوغة حتى يتمكن من أخذ فريسته واقتناصها على حين غِرَّة منها.

وذكرت لنا الأمثال شيئًا عن تجارة السمك والحلقات التى كان يعقدها الأندلسيون لبيعه، ومن المعروف أن أهل الأندلس-كما أشرنا من قبل فى هذا البحث- كانوا يمارسون حرفة الصيد البحرى أو النهرى بكثرة، وقد عبروا عن هذه الحرفة، فقالوا: (تحلق ابن بياضة تقع وسرى فالخَنَقين)[5]، والخناقون هم السماكون، وسوق الخناقين هو سوق السمك، ويمدنا مثل آخر بمعلومات جديدة

(١) د. الأهوانى: السابق، المثل رقم ١٥١، ص ٣٠٩. كلمة "الكَيَس": أى الكياسة.
(٢) السابق، المثل رقم ٦٦٠، ص ٣٤٨.
(٣) السابق، المثل رقم ٤٩١، ص ٣٣٥.
(٤) السابق، المثل رقم ٤٨، ص ٣٠٠.
(٥) السابق، المثل رقم ٣٣٦، ص ٣٢٣.

عن نوع السمك الذى كان يفضله الأندلسيون، وكذلك نوع آخر من الفاكهة كانوا يفضلونه كثيرًا على غيره، ألا وهو التين المخطط، ويبدو من المثل أيضًا أنهم كانوا يفضلون السمك المنقط على غيره من أنواع السمك المتعددة التى كان يعرفها الأندلسيون ويمارسون صيدها والتجارة فيها، وقد عبروا عن هذين النوعين المفضلين عندهم من الفاكهة والسمك فى قولهم: (التين المخطط أو السردين المنقط)[1].

* * * *

* الخاتمة:

وبعد، فهذه جولة سريعة لتحديد ملامح المجتمع الأندلسى كما تصورها الأمثال الأندلسية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، وبخاصة فى الحياتين الاجتماعية والاقتصادية، حيث إن الأمثال-كما ذكرنا- تتعرض لهذين الجانبين أكثر من غيرهما؛ لأنهما أكثر الجوانب التصاقًا ومساسًا بالعامة، أصحاب الخطاب الشعبى الأندلسى- أو أصحاب الأمثال الأندلسية.

وقد يعترض البعض على استخدام الأمثال فى تحديد ملامح المجتمع[2] على اعتبار أن ملامح المجتمع لا بد أن ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتاريخ وبالفترة الزمنية التى ضُربت فيها الأمثال، وقد حاولنا فى هذا البحث أن نحقق هذين الاعتبارين، فحددنا القرنين السابع والثامن الهجريين فترة زمنية لدراسة ملامح المجتمع الأندلسى فيها، كما حاولنا- من خلال المصادر التاريخية والمادة المتاحة فيها- التدليل على معظم الملامح والمعلومات التى أمدتنا بها الأمثال الأندلسية، وتأتى أهمية الأمثال الأندلسية - من ناحية أخرى- من أنها كشفت لنا عن كثير من الجوانب المجهولة فى العلاقات الاجتماعية، وبخاصة علاقة الأمراء بالرعية والعكس، كما كشفت لنا عن وجه آخر لهذه العلاقات لم نتمكن من العثور

(١) د. أحمد سالم محمد بابا: أمثال الزجّالى، المثل رقم ١٧٠، ص ٥٤.

(٢) د. محمد بن عبود: "أمثال العوام فى الأندلس"، بحث بالمجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع- الرباط- العدد ٨- لسنة ١٩٨٦م، ص ٢٠٦-٢٠٨.

عليه فى المصادر التاريخية التقليدية، أو أن هذه المصادر لم تظهره بصورة كافية.

من هنا، فإننا لسنا مع من يرون إهمال الأمثال وعدم الاستفادة منها فى الناحيتين التاريخية والاجتماعية، لأن هذه الأمثال تمثل وجهة نظر طبقة مهمة من طبقات المجتمع، بل أكبر طبقة من طبقاته، ألا وهى طبقة العامة أو الجموع الشعبية، فليس من الإنصاف إهمال أحاسيس ومشاعر وهموم وطريقة تفكير هذه الطبقة. وبذلك نصل إلى أنه من خلال الأمثال الأندلسية نستطيع أن نخرج بتحديد عام لملامح المجتمع الأندلسى، والتعرف على خصوصياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأنها تمثل جزءًا مهمًّا من التراث والحضارة الإسلامية فى الأندلس.

* * * *

معجم صغير

لأهم الألفاظ الأندلسية الواردة فى البحث ومعانيها

اللفظ فى اللهجة الأندلسية	معناه
أشط	أطول
آش	ليس، وتأتى بمعنى لا النافية للفعل
باطل	بالمجان أو مجانًا، وانتقل هذا اللفظ إلى الإسبانية بهذا المعنى، فقالوا: De balde
بحال	تقوم مقام كاف التشبيه، وتأتى بمعنى: مثل أو شبيه
بَرْطال/ بَرْطَل	عصفور (طائر)، مأخوذة من الكلمة الإسبانية Pardal
بَقْلة/ بُقَيْلَة	العشب السام
بَيْدَمَ/ بَيْدَامَ	بينما، حينما، ريثما
تِد	تريد
التَّفْق/ التَّفَق	الاتفاق
حَلاوى	أحمق
وحَنْدك؟	وماذا بعد ذلك ؟
الخَنَاقون	السمَّاكون
دَرْمَك	الدقيق الأبيض الجيد
الزَّلْط	الفقير أو المفلس
السَّعْى	التسول وسؤال الناس الصدقة
شِنوغَ	معبد اليهود، مأخوذ من الكلمة الإسبانية Sinagoga
الفَحْص	الوادى
قَطاع/ قَطَع	قطع النقد من دينار ودرهم (النقود)
المحروم	الفقير أو المسكين/ البائس
مُختار	حاكم القرية
المَقيت	البخيل الشحيح
المميِّز	الذكى الفطن

* قائمة المصادر والمراجع *

أولاً: المصادر:

-* ابن الأبّار (أبو بكر محمد بن عبد الله، ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م):

- الحلة السيراء - (جزءان بتحقيق : د . حسين مؤنس) - دار المعارف - القاهرة - ط٢ - ١٩٨٥ م.

-* ابن بسّام (أبو الحسن على بن بسام، ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧ م):

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة - تحقيق: د . إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ط٢ - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ .

* ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م):

- الصلة - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - سلسلة المكتبة الأندلسية - (٤) -١٩٦٦ م.

* التادلى (أبو يعقوب يوسف بن الزيات):

- التشوف إلى رجال التصوف - نشره وصححه: أدولف فور- الرباط، ١٩٥٨م.

* ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م):

- الإحاطة فى أخبار غرناطة - تحقيق: أ. محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجى- القاهرة.

- المجلد الأول - ط٢ - ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

- المجلد الثانى - ط١ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

- المجلد الثالث - ط١ - ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

- المجلد الرابع - ط ١ - ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

- اللمحة البدرية فى الدولة النصرية - منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت - ط٢، ١٩٧٨م.

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق: ليفى بروفنسال- دار المكشوف - بيروت، ١٩٥٦م.

* ابن سعيد الأندلسى (أبو الحسن على بن موسى، ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م):

- الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة - تحقيق: أ. إبراهيم الإبيارى - دار المعارف - القاهرة - ط٣، ١٩٧٧م.

* السقطى (أبو عبد الله محمد بن أبى محمد):

- كتاب فى آداب الحسبة - نشر: جورج كولان وليفى بروفنسال - باريس، ١٩٣١م.

* ابن عاصم (أبو بكر محمد بن عاصم، ت ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥م):

- حدائق الأزاهر- حققه وقدَّم له: د. عبد اللطيف عبد الحليم- المكتبة العصرية- بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

* ابن عاصم (أبو يحيى محمد بن عاصم، ت ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م):

- جنة الرضا فى التسليم لما قدَّر الله وقضى - تحقيق: د. صلاح جرَّار - دار البشير للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ١٩٨٩م.

* ابن عبد الرءوف (أحمد بن عبد الملك):

- رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب - تحقيق: أ. ليفى بروفنسال - مطبعة المعهد العلمى الفرنسى - القاهرة، ١٩٥٥م.

* عبد الواحد المَرَّاكُشِى (محى الدين عبد الواحد بن على، ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م):

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - تحقيق: محمد سعيد العريان - الكتاب الثالث - القاهرة، ١٩٦٣م.

* ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبى، من رجال القرن ٥ هـ / ١١م):

- رسالة فى القضاء والحسبة - تحقيق: أ. ليفى بروفنسال - مطبعة المعهد العلمى الفرنسى - القاهرة، ١٩٥٥م.

* ابن عِذَارى المَرَّاكُشِى (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م):

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب:

- الأجزاء الأول والثانى والثالث - تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وأ. ليفى بروفنسال - الدار العربية للكتاب - بيروت - ط٣، ١٩٨٣م.

- الجزء الرابع - تحقيق ومراجعة: د. إحسان عباس - الدار العربية للكتاب - بيروت، د. ت.

* ابن عربى (محيى الدين، ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م):

- رسالة روح القدس - قدم لها: بدوى طه علاّم - دار عالم الفكر- القاهرة - ط١، ١٩٨٩م.

* العماد الأصبهانى (محمد بن محمد صفى الدين، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م):

- خريدة القصر وجريدة العصر (الجزءان الثانى و الثالث، قسم شعراء المغرب والأندلس) - تحقيق: آذر تاش آذر نوش - نقحه وزاد عليه: د. محمد المرزوقى، د. محمد العروسى المطوى، والجيلانى بن الحاج يحيى - الدار التونسية للنشر - ١٩٧١ م.

* ابن القَطَّان (أبو على حسين بن القطان):

- نظم الجمان (الجزء السادس) - تحقيق: د. محمود على مكى - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس - الرباط - بمساهمة المركز الجامعى للبحث العلمى تحت إشراف معهد مولاى الحسن للبحوث - المطبعة المهدية - تطوان - ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م.

* المَقَّرى (أبو العباس أحمد بن محمد، ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٢ م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب - تحقيق: د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ط١، ١٩٦٨ م.

* البُنَّاهِي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن):

- تاريخ قضاة الأندلس، المعروف باسم المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا - نشرة الأستاذ ليفى بروفنسال - دار الكاتب المصرى - القاهرة - ط١، يناير ١٩٤٨ م.

* * * *

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة:

* د. إبراهيم القادرى بوتشيش:

- الإسلام السرى فى المغرب العربى - سينا للنشر- ط١، ١٩٩٥م.

- مباحث فى التاريخ الاجتماعى للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين - دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت - ط١، ١٩٩٨م.

* آنخل جونثالث بالنثيا:

- تاريخ الفكر الأندلسى - ترجمة: د. حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٩٥٥م.

* د. رضا عبد الجليل الطيَّار:

- الدراسات اللغوية فى الأندلس منذ مطلع القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى، عصر المرابطين والموحدين- منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - سلسلة دراسات (٢٢٧) - دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.

* رينهارت دوزى:

- تكملة المعاجم العربية - نقله إلى العربية وعلَّق عليه: د. محمد سليم النعيمى - الأعظمية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.

* د. سعيد سيد أحمد أبو زيد:

- الحياة الاجتماعية فى الأندلس عصر دولتى المرابطين والموحدين (٤٨٤ - ٦٢٠ هـ / ١٠٩١ - ١٢٢٣م) - شركة الهدى للطباعة والنشر- قويسنا- المنوفية- ط١، ١٩٩٦م.

* د. عبد العزيز مطر:

- لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة - دار المعارف - القاهرة- ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* د. عبد المنعم سيد عبد العال:

- لهجة شمال المغرب "تطوان وما حولها" - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر- القاهرة، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.

* د. محمد أحمد أبو الفضل:

- شرق الأندلس فى العصر الإسلامى (٥١٥-٦٨٦هـ / ١١٢١-١٢٨٧م) دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ١٩٩٦م.

* د. محمد محمود إدريس:

- الحياة الاجتماعية لطبقة العامة فى قرطبة فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى - المطبعة التجارية الحديثة - القاهرة، ١٩٩٢م.

* * * *

ثالثًا: الدوريات:

* د. عبد العزيز الأهوانى:

- "أمثال العامة فى الأندلس" - ضمن دراسات مهداة إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين - دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م، ص ٢٣٥-٣٦٧.

- "ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة" - مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة- المجلد الثالث، ١٩٥٧م.

* د. ماريًا خِيسُوس بِيجيرا:

- "صور من الحياة اليومية فى العدوتين من خلال كتاب (تنبيه الحكَّام) لابن المناصف، ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م" - ترجمه من الإسبانية إلى العربية: د. حسن الوراكلى- مجلة المناهل- العدد ٣٨- السنة ١٥- جمادى الأولى ١٤١٠ هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م، ص ١٤١-١٦٢.

* د. محمد بن عبود:

- "أمثال العوام فى الأندلس للدكتور محمد بن شريفة: دراسة تاريخية أم أدبية؟" - المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع - العدد (٨)- لسنة ١٩٨٦م، ص ١٩٧-٢١٣.

* د. محمد كمال شبانة:

- "الحالة الاقتصادية بالأندلس خلال القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى" - مجلة البحث العلمى- العدد ٨- السنة الثالثة، ص ١٣٦-١٥٠.

* نادية العشيرى:

- صورة المرأة بين الأمثال الأندلسية والإسبانية" - دراسة بمجلة مكناسة (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية)- مكناس- عدد ١٠- ١٩٩٦م، ص ٧-١٤.

* * * *

رابعًا: المراجع الأجنبية:

* **Ahmed Salem Ould Mohammed Baba:**

-Estudio dialectológico y lexicológico del refranero Andalusí de Abu Yahyá Azzajjali- Universidad de Zaragoza، 1999.

* **Claudio Sanchez - Albrnoz:**

-"La Espana musulmana Segun los autores Islamitas Y Cristianos medievales - Cuarta edicon - Espasa - Calpe, S. A. - Madrid, 1974 .

* **Joaquín Vallvé Bermejo:**

-"La agricultura en al-Andalus" ،Al-Qantara- Vol. III، (1982)، pp. 261-297.

* **María Jesús Viguera Molins:**

-"La Censura de Costumbres en el Tanbaih al-Hukkam de Ibn al-Munasif (1168-1223)" -Actas de las II Jornadas de Cultura Arabe e Islámica (1980-(Instituto Hispano-Arabe de Cultura- Madrid، 1985.

* **Marina Marugan Güémez:**

- El refranero Andalusí de Ibn Asim Al-Garnati، Estudio lingüístico, Transcripción، Traducción y Glosario- Hiparión- Madrid، 1994.

* * * *